مجتمع كسيح
ونخب متوحشة

الطبعة الأولى - عن النخبة للطباعة والنشر والتوزيع

1444 هـ/ 2022 م

رقم الإيداع: 15872/ 2022

الترقيم الدولي: 7-836-838-977-978

الكتاب: مجتمع كسيح ونخب متوحشة

المؤلف: أ.د. سمير عبد الرحمن هائل الشميري

جميع حقوق الطبع محفوظة للناشر

النخبة للنشر والطباعة والتوزيع 23 شارع عبدالخالق ثروت. القاهرة. الدور الثالث

تليفون: 20223926449+

201096124252+

البريد الإلكترونى: info@elnokhbapublish.com

زورونا على موقعنا: elnokhbapublish.com

الفيسبوك: النخبة للطباعة والنشر والأبحاث

يمنع نسخ أواستعمال أي جزء من هذا الكتاب بأية وسيلة تصويرية أوإلكترونية أوميكانيكية بما فيه التسجيل الفوتوغرافي والتسجيل على أشرطة أوأقراص مقروءة أوأية وسيلة نشر أخرى بما فيها حفظ المعلومات،واسترجاعها من دون إذن خطي من الناشر.

إن الآراء الواردة في هذا الكتاب لا تعبر بالضرورة عن رأي الناشر

طبع فى مصر

مجتمع كسيح
ونخب متوحشة

أ.د. سمير عبد الرحمن هائل الشميري

النخبة
للنشر والطباعة والتوزيع

2022

المحتويات

المقدمة

منذُ سنوات خلت وأنا ألاحظ وأعايش الأحداث والوقائع والظواهر الاجتماعية والخراب المادي والخُلقي والثقافي بعين سوسيولوجية متبصرة في آناء الليل وأطراف النهار.

عايشت الحرب والقهر الجسدي والمعنوي والصدمات وأزمات الانكسار المادي والروحي والممارسات غير المحمودة الزاخرة بالمعاطب والمهالك خارج نطاق الحق والناموس الاجتماعي.

في معايشتي وملاحظاتي الميدانية المعمقة رأيت انهيار الدولة والأخلاق والمؤسسات وعايشت مفازع الحياة وحرب الخدمات ومعاناة الضُر والجوع والبؤس وانحدار قيم الانصاف والتوازنات الاجتماعية وتصدع الروح الوطنية.

ولا ينبغي أن نندهش عندما سلطت عدستي البحثية على مدينة عدن لأطل من خلالها على الفضاء الوطني الذي قُطعت اوصاله وتفشت فيه الاحترابات والتشظيات وتعرضت حياة الناس للزعزعة والدمار العمدي والهزائم والمجاعات والأمراض العضوية وكثرة التعفنات وفقدان المعايير والانعزال

الاجتماعي واللامبالاة والحرمان والتهميش وافساد النفوس واضعاف العقول.

ففي عدن تتجلى صورة الوطن، ففي جوفها فسيفساء متنوعة من البشر والثقافات والأحداث والوقائع وشهدت تغيرات سوسيولوجية مؤلمة لها دلالاتها ورمزيتها في خارطة الوطن الجريح.

في أزقة وجادات وشوارع مدينة عدن تم تكسير أضلاع الإنسان وتدمير قيم المواطنة المتساوية واشعال الفتن العمياء والاحترابات والعنف والإرهاب وتوطين الفساد وتسويم الناس بالشعارات الغوغائية والانحطاط السلوكي وهبوط الثقافة تحت درجة الوعي وضمور الروابط الإنسانية وفقدان المعايير.

لقد أثرت الحرب وحرب الخدمات والتصدعات والأزمات والصدمات بشكل عميق على سلوك الأفراد والجماعات الاجتماعية وشهدت حياتهم انهيارات فظيعة في خضم الفعل البشري والتدمير العمدي للبنية الاجتماعية والسلطة والمؤسسات وتقطيع أوصال الروابط الاجتماعية واتساع مساحة الغُربة والضياع.

لقد أصابت النـــاس المحن والمظالم والآفـــات والحماقات التي ضربت صميــم المجتمع وآدمية الإنســـان ومقومات الوجود ولغة الحياة والعلاقات الإنسانية.

الكتـــاب يضع بؤرة الضوء على مشـــاكل المجتمع ويقدم قراءة رشـــيدة لحياة تئـــن بلحن حزين وممهـــورة بالشـــقاء والمعاناة والاحترابات والصدمات المدوية التي قطعت أوصال المجتمع والتفاعل الاجتماعي وكـــسرت التوازنات ونظام القيم وأدت إلى الجـــور والجوع والفســـاد وإلى خلخلة الجســـد الاجتماعي وزيادة نسبة الكُره الاجتماعي والتشققات والتبرعمات.

من ينعم النظر في الكتاب ســـيجد وصفاً دقيقاً لسوسيولوجيا الحياة اليومية والمكابدات الحياتية والروحية التي يعانيها الناس في ظـــل قيادات نخب فاشـــلة متلونة لا هم لها ســـوى الإثراء والتسيد وتسميم حياة المجتمع وترويع الناس بالقهر والسلطة والإخافة بالاستناد على مبدأ الغدر والفتك والفهلوة.

يجمع الكتاب ما بين الدقة والشمول والتنوع بلغة سوسيولوجية متقنة مردوفة بملاحظات ميدانية تقرأ الواقع والبشر والوجوه والمشاعر والأحاسيس وتغوص في جغرافيا العقل والروح.

تكمن أهمية الكتاب، أنه يقوم بدراسة الانهيارات المجتمعية على صعيد البُنى والمؤسسات وتدهور أنسجة المجتمع وذوبان الطبقة الوسطى وتدهور القيم والحياة المعيشية وتجبر النخب السياسية والعسكرية والمدنية التي أكلت خيرات المجتمع ونهبت ممتلكاته واعاقت تطوره وجعلته عاجزاً عن رؤية أصابع الأمل.

وليس لي هم من تأليف الكتاب سوى تنوير العقل وجلاء الظُلمة وتحليل الظواهر الاجتماعية الطارئة وفك شفرات الغموض وتقديم جرعات علمية ومعرفية للمختصين في حقل علم الاجتماع ولعامة الناس بما يحدث في المجتمع وإزالة الغشاوة الفكرية والظلمة الدامسة وفك الاشتباك المعرفي والثقافي وتوضيح آلية السطو على الأذهان.

ولرب سائل يسأل عن أهم التساؤلات في الكتاب، نسارع في القول، أن أهم التساؤلات هي:

1- ما أهم ملامح النخبة والمجتمع الكسيح ؟

2- ماذا نقصد بسوسيولوجية الحياة اليومية وحرب الخدمات؟

3- لماذا انهارت القيم الاجتماعية ؟

ويطيب لي أن أعلن، أني استخدمت في كتابي المنهج الوصفي ودراسة الحالة المشتملة على الملاحظة المتعمقة والملاحظة بالمشاركة والمعايشة في الحياة الاجتماعية والدراسة الوثائقية.

الجديد في الكتاب أني قمت بدراسة وصفية سوسيولوجية لظاهرة النخب المتوحشة والمجتمع الكسيح والانهيار القيمي وتغير نمط الحياة وأدوات التدمير والخراب التي استخدمت في صناعة الأزمات بطريقة علمية خالية من التنطع والتهويش، فهذه الظواهر المقلقة هزت كيان المجتمع وشكلت طاقة خطر على الأمن الاجتماعي وأدت إلى انزلاقات وممارسات غير محمودة حولت حياة المجتمع إلى حلبة من الصراع امتزجت فيه خصال الخير بخصال الشر والمصلحة بالمفسدة وولدت تشوشاً فكرياً وسلوكياً لا يميز بين عناصر الصلاح والطلاح.

ولا بد لي أن أومئ، أن الحدود الزمنية للكتاب تمتد من ابريل 2015 – ابريل 2022م.

وأود القول في هذا المنوال أن الكتاب يحتوي على ثلاثة فصول وعلى النحو التالي:

- **الفصل الأول:** مجتمع كسيح ونخب متوحشة.
- **الفصل الثاني:** سوسيولوجيا الحياة اليومية وانهيار الخدمات.
- **الفصل الثالث:** انهيار المنظومة الأخلاقية.

الفصل الأول

مجتمع كسيح ونخب متوحشة

مُدخل:

إني على أيقن يقين، أن ثمة نخب مترعة بثقافة الارتزاق تتهالك على السلطة والمال وشـهوة البطن والفرج ومن صفاتها التلون والمماحسـة والمصانعة ودأبت على إشـباع غرائزها وتكسـير صواميل لحمة المجتمع وعزة المواطنين وهتك كرامة الإنسـان وهـدر الحريات وإباحة الدماء في فضاء الظلام والاغتشـاش والتنكيل والهوس الطائفي والعرقي والعنصري.

فثمة قضايـا موجعة يعيشـها المجتمع اليمنـي في هذا الزمن العصيب الذي فقد فيه الإنسـان الأمـن والطمأنينة الروحية والحياتية وتحولت حياته إلى حلبة صراع واحترابات وانقسامات وتشرذمات، وتم اسـتبدال لغة الحوار والتسامح بلغة الحرب والكراهية والتعصب والفتن بروائـح خبيثة مدمرة للمجتمع وشبكة العلاقات الإنسـانية وتصب في خانة الدمار وخلخلة الاجماع الوطني وافسـاد التوازنات وتسفيه الهوية وتعزيز نهج القطيعة والتهاجر الاجتماعي لسحق كيان المجتمع.

لقد بلينا بانشـطارات سياسـة وتخلخل وتضاغـط اجتماعي، وتلاشـت نخب سياسـية واجتماعية وبزغت نخب سياسـية واجتماعية جديدة متوحشـة ومرفوقة بتغيرات سوسـيولوجية

واقتصادية وثقافية عميقة. تجار الحرب والنخب المهيمنة تحولت إلى كائنات متوحشة تلهف كل شيء وتدمر كل شيء وتستلذ بعذابات الناس وبحرب الخدمات وأصبحت منزوعة العقل والبصيرة تسير بغرائز تدميرية وتتاجر باسم الشعب بالشعارات والمظاهر الفسيفسائية والكلام المعسول بتطريزات جميلة .

ثمة أسئلة تدق أبوابنا في ضجة النهار وسكينة الليل:

- ماذا نقصد بالنخبة والمجتمع الكسيح ؟
- ما وظائف النخب المتوحشة ؟
- ما خصائص نخب الشعارات ؟
- ما الجامع بين النخب القديمة والحديثة ؟

والجدير بالذكر أن الإطار الزمني لهذا الفصل يمتد من 2015 – 2022م .

هذا ويتكون الفصل من القسمات التالية:

أولاً: مفهوم النخبة.

ثانياً: المجتمع الكسيح.

ثالثاً: نخب المجتمع الكسيح.

رابعاً: نخب الشعارات.

أولاً: مفهوم النخبة:

كانت ولا زالت النخبة محل مدارسة من قبل المختصين في علم الاجتماع السياسي وأهل الذكاء والكيس وحملة الأقلام وأرباب المعرفة والتقويم في العلوم الاجتماعية الأخرى.

ولا نضيف جديداً إن قلنا، أن افلاطون 427- 347 (Plato) في جمهوريته يتحدث عن ثلاثة نخب محورية في المجتمع وهي:

1- **نخبة الحكماء**: وهم النخبة العليا في المجتمع الذين يديرون السلطة السياسية وشئون المجتمع.

2- **نخبة العسكر**: ومهمة هذه النخبة حفظ الأمن والانتظام العام في الجمهورية والدفاع عن السيادة.

3- **نخبة الشغالين**: وهم المشتغلون في الزراعة والصناعة والتجارة وينتجون الخيرات والثمرات (الشميري، 2003: 81-100).

وفي نفس الأفق، يؤكد عبد الرحمن بن خلدون (1332-1406) أن للنخب مرتكزات بدونها لا تستقيم أحوالها ولا تتوطد مداميكها ولا يمكن أن تنتصر النخب إلا إذا توفرت لها المقومات التالية:

1- القوة،

2- الدين (الأيديولوجية)،

3- المنافع الاقتصادية (الجابري، 1982: 268- 269).

فالنخـــب تتطور وتتبدل وتنتقل مـــن الطفولة إلى اليفاعة ومن ثم إلى الشـــيخوخة والإنهيار وحدد ابن خلدون أعمار الدول ب120 سنة لكل جيل 40 سنة وأكد أن النخب متحركة وغير جامدة وتمر بعدة مراحل:

1- الاستيلاء على السلطة،

2- طور الاستبداد،

3- تجميع الثروة،

4- مرحلة القنوع والمسالمة،

5- مرحلة الترف (ابن خلدون، 2010: 197-198).

ومـن الـضروري أن نومئ، أن المفكر الإيطالي توماس كمبـــــانيلاTommaso Campanella(1568- 1639) قد أدلى بدلوه في البئر الممتلئة في مؤلفه «مدينة الشمس 1516»، اقترح أن تكون نخبة رجال الدين هي القائدة للمجتمع وأن تكون على رأس السلطة السياسية.

ثــم تلاه ســان ســيمون Saint Simon(1760 - 1825) الــذي كان يعتقد أن قيادة المجتمع لابد أن تكون نخبة صناعية تكنوقراطيــة لأن المجتمع لابد أن ينهض على أســاس العلم والصناعة والثقافة والتكنيك.

لقد أصبح واضحاً لكل عين ذي بصيرة، أن المفكرين الإيطاليين فيلفريدو باريتو Vifred Pareto (1848-1923) وغايتانو موسكا Gaetono Mosca (1858- 1941)

قاما بدراســات سوســيولوجية معمقة للنخبــة (خصوصاً موسكا) مع لفيف من المنظرين السوسيولوجيين ولعل أبرزهم روبرت ميشلز Robert Michels (1876 -1936)

وجيمــس برنهــام James Burnham (1905 - 1987) وعــالم الاجتــماع الأمريكــي رايــت ملــز Wright Mills (1916- 1962) وآخرون .

وللنخبة تعريفات بألوان طيفية يمكن ايجازها على النحو التالي: (الشميري، 2005: 86).

1- **النخبــة**: جماعة اجتماعية محــدودة العدد، يتميــز أفرادها بالتنظيم ولهم مناصب رفيعــة ومؤثرة، ولا تغيب الكفاءة

عن أغلبهم واكتســبوا الهيبة والمقام الرفيع واحتلوا موقع الصدارة في المجتمع.

2- **النخبة:** طليعة أفراد المجتمع ويمثلون العناصر الأكثر وعياً وانضباطاً وشجاعة ويتميزون بالنزاهة والشفافية .

3- **النخبــة:** فئة اجتماعية بارزة تركت بصــمات جلية في حياة المجتمع وتتكون من تكنوقراطيين ومتخصصين ومثقفين من أصحاب الميول العلمية والعملية ومن أصحاب الخبرة والمراس والعقول النظيفة.

4- **النخبة:** شريحة اجتماعية اكتســبت الشهرة والمال والسلطة والنفوذ عبر القــوة أو الذكاء أو عــبر الوراثة الاجتماعية والسياســية والاقتصادية، فهم ورثوا هذه السلطة والقوة والهيبــة والمقام الرفيــع كامتداد لمواقعهــم الاجتماعية في التراتب الاجتماعي أو كامتداد للمكانة الروحية والتقليدية التي توارثوها.

5- **النخبة:** جماعة صغيرة صاحبة تأثير وقرار تصنع الأحداث أو تشــارك في صناعتهــا ولها مجــالات مختلفة سياســية واقتصادية واجتماعية وثقافية وتكنولوجية.

6- **النخبــة**: ليســت حزبــاً سياســياً ولا مؤسســة حكوميــة ولا تنظيــم مدني ولا هيئة خيرية، بل هي جماعة منظمة توجد في رأس الســلطة السياســية وفي المواقع الرئيســية الحساسة أو في التجمعات التنظيمية السياسية أو الاقتصادية أو المدنية.

واســتمراراً لما تقدم نبســط في هذا الســياق تعريفيين رئيسيين للنخبة الحاكمة والنخبة غير الحاكمة:

النخبة الحاكمة: جماعة اجتماعية تتميز بالقوة والتنظيم والثروة والتأثــير النفسي والروحي والســيطرة على وســائل الإعلام والاتصــال الجماهيري، اكتســبت الهيبة والســلطة بقوة القهر وسياسة قعقعة السيوف وتقبض على مقاليد الأمور مستخدمة القوة المادية والمعنوية لتنفيذ أجندتها ومقاصدها وغاياتها.

النخبة غير الحاكمة: جماعة اجتماعية محدودة العدد تتميز البعض منها بقوة التأثير وقوة التنظيم، اكتســبت القوة والشــهرة عبر جماهيريتها ونضالاتها ومناشــطها الطيفية التي تصب في خانة خير المجتمع. تتكون هذه النخب من سياسيين ومثقفين، تصنع الأحداث وتشــارك في صنعهــا بفعالية عبر القــوة الجماهيرية والقــوة المادية والمعنويــة والنفوذ والــذكاء والثقافة والوعي والكفاءة. قد تكون هذه النخب سياسية أو ثقافية أو اقتصادية

أو اجتماعيــة أو معرفية وتكنولوجية تترك أثراً في حياة المجتمع في حالة تأثيرهــا وديناميكيتها وقدرتها على الحشــد والتنظيم والتوعيــة المجتمعية والجرأة والبســالة والإقــدام في غميس النضــالات والصراعات والتفاعــلات الاجتماعية الهادفة إلى تحجيم الهيمنة ومقاومة الجور والفساد وخلق التوازنات وقمع شهوة التسيد والديكتاتورية وبعث الحيوية والحراك في شرايين المجتمع والهياكل والتجمعات والمؤسســات وتغيير جغرافية العقل لتجنب الانزواء والتعفن والتشرنق والتكلس الذهني.

ثانياً: المجتمع الكسيح:

المجتمع - جماعات كبيرة من الناس ارتبطوا بوشائج وعلاقات اجتماعية واقتصادية وثقافية ونفسية وعادات وتقاليد وأعراف مشتركة، وبمؤسســات اجتماعية ومعيشــية وسياسية وثقافية وتربوية منظمة لحياة المجتمع.

فالســكان والحكومة والموقــع الجغرافي والعلاقات الجنســية التكاثريــة والاجتماعية والثقافة والعادات والتقاليد الشــاملة والاستقلال تعتبر من العناصر الأساسية للمجتمع.

والمجتمــع حســب تعبــير عــالم الاجتــماع انتــوني غدنــز Anthony Giddens (1938) (واحد من اهم مفاهيم الفكر

السوسيولوجي، وهو مجموعة من الناس يعيشون في حيز معين، ويخضعون لنظام واحد من السلطة السياسية،وهم على وعي بأن لهم هوية تميزهم عن الجماعات الأخرى المحيطة بهم، وتتميز بعض المجتمعات بالصغر الشديد وهناك مجتمعات أخرى بالغة الكبر) (غدنز، 2005: 761).

وعلى صعيد متصل يعرف عالم الاجتماع العربي حليم بركات (1933) المجتمع بأنه:

تآلف معقد يشمل بين مقوماته الأساسية الأفراد والجماعات والوطن - البيئة والسكان والتنظيم الاجتماعي والمؤسسات والبُنى الاقتصادية والاجتماعية والسياسية والثقافية بمختلف تفرعاتها واتجاهاتها في ما بينها ومع المجتمعات الأخرى عبر تاريخ سحيق في قدمه (بركات، 2000: 17)، ويزيد بالقول أن المجتمعات العربية متنوعة وتشمل:

1- المجتمع المتجانس.

2- المجتمع التعددي.

3- المجتمع الفسيفسائي. (بركات، 25).

وأنـــا أضيف المجتمـــع الكســـيح إذ أنه، في ســـياقات الحرب والاضطرابات بزغت إلى السطح ما بعد ثورات الربيع العربي مجتمعات كســـيحة تشظت بفعل عوامل شـــتى ولعل أبرزها: المنازعات السياسية والصراع العسكري، وساهمت التدخلات الاقليميـــة والدولية إلى حد كبير في ضعضعـــة بُنية المجتمعات وانتقلت هذه المجتمعات إلى حلبة الصراع الدموي واشتعلت الحروب المذهبيـــة والطائفية والعقائدية وشـــمل الدمار كافة البُنى والمؤسسات الاقتصادية والاجتماعية والثقافية والتعليمية والهوية الوطنية وتم تدمير الإنسان الذي يعتبر الركيزة المحورية للنماء والتطور.

إننا نعيش في مجتمع كسيح، والمجتمع الكسيح الذي نعيش فيه هو مجتمع مريض ومعقد تنهشه الذئاب و الكلاب والأمراض وتعصف به العواصف لا يقوى على الاستقامة دمرته الحروب والويلات والمصائب وشـــلت حركته، يعـــاني من إعاقة فكرية وذهنية وحركية يهدر طاقته وإمكانياته في الترهات والسفاسف خارج قارعة الحضارة.

المجتمع الكســـيح مفكك خال من المهاجع الدفاعية قاطن بين جدران الخوف والريبة والشـــك والزيف والاســـتلاب يتلذذ

بطعم فاكهة الخرافــات والخزعبلات والجهل والبلادة الذهنية لا علاقة له بالعلم والمعرفة والتطور ولا يحترم الكرامة العقلية والعقل المنير، المجد فيه للمخبولين والطائشين والسُراق .

المجتمع الكســيح مجتمع تبعية وخنوع وارتــزاق مجاله الثرثرة والفسفســة والتكفير والتخوين والزخارف اللفظية والخطب المنبرية، تحــول فيه بعض البشر إلى كائنات خشـــنة ومتصحرة لا يهمها إلا شهوة البطن والفرج.

المجتمع الكســيح بلا دولة ولا مؤسســات وبــلا وعي ولا قيــادة ولا أفق فيه للعقــل والعلم والمعرفــة والثقافة والعمارة والســكينة المادية والروحية يعيش في دوامــة من الاحترابات والهرج والمــرج والقلق والرعب وغارق حتى أذنيه في الأوهام والانقســامات الحادة ويعيش على شيء من القلة والشــظف وتنمو في تربته الفطريات الخبيثة وتترســخ فيه أقدام التوحش لكائنات غريبة الأطوار تبتلــع كل شيء المال والغذاء والدواء والأحجار والأشجار والرمال وتشــفط الهواء وتبتلع البحار والميــاه والأراضي وتتحول فيه زُمر بشرية من كائنات اجتماعية إلى كائنات غرائزية تطلق شــهواتها ونزعاتهــا الذئبية إلى أبعد مدى، فالإنســان في هذا المجتمع لا هم له سوى الحصول على

مقومات الحيـــاة الضرورية ولقد تم اغراقه بهموم ومشـــاكل يومية ويتم هندسة حياته القاتمة بسلسلة متواصلة من الأزمات حتى لا يقوى على النهوض والتفكير السليم.

من علامات هـــذا المجتمع الجاهل عدم الاكتراث بالإنســـان وحقوقه وآدميته فعربات الحرب والفســـاد والفوضى والمحن والقلاقل طحنت عظامه وخربت عالمه الداخلي وأصبح يســـير بلا هـــدى ولا بصيرة فقد الأمل في الســـلام والأمان والعيش الكريم وانغمس في متاهات لا حصر لها.

المجتمع الكســـيح جامد وغير متحـــرك مصاب بعمى الألوان غير قادر على اســـتغلال ثرواته وتدبير حياته وعاجز عن إدارة أموره ينتظر الإرشـــادات والتوجيهات والمســـاعدات ويعيش على ما يقدمه المجتمع الدولي من مســـاعدات وهبات وعطايا ولا يعـــرف مكامن القوة والضعف في مســـار إيقاعات حياته اليومية وتفكيره آني لا ينظر أبعد من أرنبة الأنف يرعى مصالح الغير وينسى مصلحته ويبدد طاقاته اليومية في البحث عن:

الراتب، أنبوبة الغاز، المشتقات النفطية، الماء، الكهرباء، تردي الخدمات ومشغول بتوفير لقمة العيش و بغلاء الأسعار وانهيار العملة المحلية وانعدام الأمن والأمان.

المواطن يعيش في فضاءات منهوبــة ومنكوبة زاخرة بالمرارات والهزات النفســية والحياتيــة الكبرى المندغمــة بالتفجيرات والاغتيــالات والاعتقــالات والعمليــات الانتحاريــة والمصادمات العســكرية وانهيــار الخدمات وشــوكة العدل وتقوي عضد المليشيات المسلحة وشاذي الآفاق وشيوع ثقافة الارتزاق وبيع الضمائر والتطاحنات السياسية والحربية المدمرة التي تفضي إلى مزيد من الفــوضى والهيمنة والتفلت المجتمعي وتبديد الثروات.

المجتمع الكسيح بلا ضوابط ولا هياكل ولا مؤسسات وبمنأى عن سلطة النظام والقانون، عقيم وفاسد استشرت فيه النفوس الملطخــة بالقذارة يدمر كل شيء ويســير بخطــى ثابتة في عالم الخراب ويغوص في بحر غوير من الإعاقات والأمراض المزمنة وأضحى مطمراً عظيماً للكفاءات والرأسمال البشري.

المجتمع الكســيح تنهشــه النخب الحاكمــة والنخب الطامحة في الحكم، الــكل يدمر المجتمع الكســيح بشــعارات ناعمة وأباطيــل شــائعة وبذهنيات مشوشــة على قــدر كثيف من الضباب والشــطحات وشــطط الغواة وتعجرف مســكون بهاجس العظمة.

المجتمــع ينكسر ويموت تأكله الحرب وتدمــره عقلية الرعاع والغوغاء يكابد الفقر والمســبغة وتدمر بنيتــه التحتية الحرب وتتحول مدنه وقراه إلى أثر بعد عين.

لقد حلت الكوارث والنوازل بالبشر والأزمات الوجودية الكبرى في حلبة الصراع الدموي وطفح الكيل وبلغة القلوب الحناجر.

منذُ 2015:

- خسرت اليمن في الحرب 500 مليار دولار.
- تقهقرت العملة المحلية 200 ٪ .
- ارتفعت أسعار السلع الغذائية بمقدار 302 ٪.
- ارتفع ســعر الدولار 1240 ريال يمني مقابل 215 ريال قبل عام 2015.
- انقطعت رواتب 700 ألف موظف .
- تضاعف انهيار الأمن الغذائي 3 مرات.
- خلال عام 2021 ارتفعت أسعار المواد الغذائية 90 ٪.
- ارتفعت أسعار المواصلات 70 ٪ .
- ارتفعت أسعار المشتقات النفطية خلال بضعة الشهور من عام 2021 70 ٪

- 70 ٪ من اليمنيين محرمون من الحد الأدنى من السلع الضرورية الأساسية.
- 8 ملايين شخص بدون عمل.
- 60 ٪ من السكان لا يحصلون على مياه نظيفة.
- 4 ملايين لاجئ.
- 3 ملايين معاق من معاقي الحرب.
- 10 ملايين طفل بحاجة إلى مساعدات إنسانية.
- 400 ألف طفل يمني يواجهون خطر الموت الوشيك بسبب سوء التغذية.
- 2,2 مليون طفل يعانون سوء التغذية.
- تسرب مليون طفل من المدارس بسبب الحرب.
- وصل عدد قتلى الحرب 65 ألف قتيل من 2015 – 2020.
- صعوبة عودة 4,5 مليون طفل إلى الدراسة.
- تم تدمير 8610 منشأة في الحرب.
- تضرر في الحرب 15 مطاراً و16 ميناء و297 محطة ومولدات كهربائية.

- تـــم تدمير 520 شـــبكة ومحطة اتصـــال، و 1990 خزان وشبكة مياه.
- تم تدمير 1953 منشأة حكومية و3819 طريق وجسر.
- عدد المنازل المهدمة والمتضررة من الحرب 458061 منزلاً.
- تم تدمير 21461 منشأة اقتصادية.(الأرقام والبيانات من مصادر متنوعة).

ويكمن القول دون مواربة أن المجتمع الكســيح يتسم بالسمات التالية:

1- انهيار صواميل الدولة والمؤسســات ومداميك الســكينة والرضوان.

2- حرب ورعب واضطرابات وتزعزعات وتدهور الأنسجة العمرانية والحضرية.

3- هوس اللاعقلاني واعاقة فكرية وذهنية وهدر الطاقات في الترهات والسفاسف.

4- ارتفاع منسوب الكره الاجتماعي وشيوع التهتك وانهيار القيم وسوء سجايا الناس وطبائعهم.

5- لا علاقة لهذا المجتمع بالعقــل والحرية والتنمية والثقافة والعلم والمعرفة.

6- تحول البــشر إلى كائنــات غرائزية لا يهمهم إلا شــهوة البطن والفرج.

7- احترابات وانقســامات حادة ويعج المجتمع بالتناقضات والصراعات حتى النخاع.

8- هدر صارخ لآدمية الإنسان وانزلاق خارج دائرة المواطنة المتساوية وهم الإنسان في هذا المجتمع هو كيفية الحصول على مقومات الحياة الضرورية.

9- يســير الناس عراة أشــقياء بلا هدى ولا بصيرة فاقدون للأمن العاطفي والحياتي والمعيشي والوجودي.

10-المجتمع الكســيح خائر القوى المعنوية والشعورية وفاقد الثقة في نفسه.

11-غــارق في بحر الأزمات المتواصلــة والجمود والخرافات والتخلف والقحط المعرفي.

12-فاسد بلا ضوابط يعاني من الفوضى والفساد والتفلتتات ومنكوب بداء الفقر والجهل والمــرض والكرب العظيم تتطاول فيه الأقزام على هامة الوطن.

13 – متقوقع غير قادر على اســتغلال ثرواته وعاجز عن إدارة شــئونه يعيش على المســاعدات والهبات والعطايا ويقدم مصلحة الآخرين على مصلحة التراب الوطني.

ثالثاً: نخب المجتمع الكسيح:

النخــب السياســية في الفضــاء العمومي جامــدة ومتهالكة ومريضــة تتنفس برئة خارجية لا تتغير ولا تتبدل إلا بالثورات والانتفاضات ولا تكترث بالضغــوط المدنية ولا بالمظاهرات والاحتجاجات والإضرابات ولا بالسخط الشعبي ولا تسمع إلى أنين الشارع.

هــذه النخب جاءت إلى الســلطة إمــا عبر التوريــث أو عبر العنــف والانقلابــات العســكرية وقلــة منها جــاءت عبر الانتخابات الشكلية.

النخب الحالية تشكل طاقة خطر على المجتمع لأنها وصلت إلى سدة الحكم بسهولة متهالكة على السلطة والمال ومستعدة للبيع والشراء بأثمان بخســة من أجل البقاء في السلطة، ولذلك فهي غير مكترثة بالمجتمع ولا تملك مشاريعاً تنموية، سوى مشاريع النهب وتبديد الثروات وتعميم الفساد وتدمير الكتل الاجتماعية

وتفكيك صواميل العلاقــات الاجتماعية من أجل الانقضاض عــلى المجتمع وقتل الأنبــاض الحية فيه، فهي مستســلمة كليةً للقوى الإقليمية والدولية وتستمد شرعيتها منها.

من الخصائص الشاخصة لهذه النخب أنها دخلت عالم التجارة والثراء من بوابة السلطة وأخضعت المجال الاقتصادي لسلطتها، فهي الدولة وهي الاقتصاد وهي السياســة وهي الشعب وهي الحرية والفضيلة ولا تريد أن تسقط شعرة من الرأس إلا بإذنها مســتخدمة وســائل الاعلام والثقافة والاتصــالات الحديثة لتلميع صورتهــا وللممارســة الهيمنة الثقافيــة والفكرية على الشعب وتغييب العقل، وفي الضفة الأخرى تراجعت الحركات الاجتماعيــة والمدنية والوعــي الجمعي والــروح الوطنية عند العامة، فالناس لم يعــودوا مكثرتين بالقضايا الوطنية والقومية الكبرى والأحزاب - صــاروا يلهثون خلف الخبز والمتطلبات المعيشية اليومية، فالساسة: ينجحون في اشغال الناس في شئون المعاش من جهة والنزعة الاســتهلاكية ونقاشــات الأســعار والرســوم والرواتب والتموين والصحة والتأمين، وبأنشــطة الفرجــة من جهة أخــرى والترفيه وكــرة القــدم... التفاهة تشــجعنا وبكل طريقــة ممكنة على الإغفاء بــدلاً من التفكير،

النظر إلى ما هو غير مقبول وكأنه حتمي، وإلى ما هو مقيت وكأنه ضروري، إنها تحيلنا إلى أغبياء (دونو،2020: 58، 85).

وبالرغم من ثقافة وعلم بعض النخب إلا أنها لم تتأثر بالعلم والثقافة الحديثة إلا من زاوية القشور، حيث لازالت تسير بلا وعي تتحكم فيها النوازع الذئبية وبلادة الشعور وزهو بالنفس وافتتان بالذات مرفوقة بتراكيب نفسية متعصبة: فإن كل هذا التعليم وهذه العقلانية تظل بشرية، تغلف ببنية نفسية عميقة أساسها القهر والتسلط.. ولكننا نسعى إلى افتراض مؤداه أن بنية الثقافة التقليدية تظل قابعة هناك، وتعاود الإطلال برأسها دائماً عبر ممارسات واستراتيجيات تظل محببة إلى الناس مهما تغربوا في عالم التعليم والثقافة (زايد، 2005: 51).

لا أتردد ولا أحتاط في القول، أن نخب المجتمع الكسيح في برهتنا الراهنة ما بعد 2015، من أسوأ أنواع النخب وأكثرها سوداوية تتميز بتراجع المعايير الوطنية لصالح المعايير العصبوية الضيقة وتتصف بأحط صفات الوضاعة والانحطاط وهيجان القوة وهوس عقلي وصبيانية فكرية. هذه النخب غير ديمقراطية وغير متعلمة مترعة بروح التخلف ومعادية للعلم والثقافة والمؤسسات ودولة الحق والقانون.

إنها طارئة لم تات عــبر الانتخابات أو عــبر الكفاءة والتدرج الوظيفي أو عبر الوراثة أو عــبر الوضع الاجتماعي أو التعليم أو الثروة أو عبر القنوات السياســية والإنجــازات المجتمعية أو عبر مسالك الشــفافية والنزاهة والنجابة والمجاهدة الذهنية وقوة الشــخصية وشــمائل الخير والصلاح، بل جاءت بطرق فوضويــة في خضم الحرب والصراعــات والفراغات الكبرى ومناخات الانهيار والرداءة والنكبات والانكسارات الهائلة.

لقد أشــار عالم الاجتماع العراقي علي الوردي (1913 – 1995) أن: الصعود المفاجئ من أبناء العامة إلى مراتب الحكام والضباط، نفخ فيهم شعوراً زائفاً بالعظمة والعبقرية أو المقدرة على المعجزات. فهذا مثلاً ابن حمال أو بقال قد يصير بين عشية وضحاها ضابطاً في الجيــش يأخذ الجنود له التحية في الشــارع، أو موظفاً يأمر وينهى في الناس كان يعتبرهم قبلاً من العظماء، وإذا به يشــعر أنه أصبح أعظم العظماء، إن النجاح المفاجئ يؤدي عادة إلى الشعور بالمقدرة الخارقة وإلى البطر. ولهذا نجد أغنياء الحرب لا يحتملون أصحاب الشــهادات في مجتمع جاهل لا حد لتحذلقهم وغرورهم. النجاح المتدرج الذي تكتنف طريقه المصاعــب هو الذي ينتج في الغالب العباقرة والعظماء الحقيقين (الوردي، 2001: 76).

نخب المجتمع الكسـيح قادمــة من مغاور الماضي السـحيق وغارقة في مجاهل الغرور والظلمات المطلسـمة وتريد الظهور في مسرح الشهرة، وتخاف من الشعب ونور العقل ومن توقف الحرب، ابتدعت لنفسـها وظائفاً جديـدة، فهي تجاري الزمن مترعة بهاجـس الخوف (خوف ازاحتها من السـلطة) لذلك تلجأْ إلى أساليب شتى لمراكمة الثروة وانتهاب خيرات المجتمع فهي تقوم بـ:

1- مواصلة الحرب بكافة السُبل المتاحة للارتزاق.

2- تعطيـل الخدمات والتنمية في الفضاء العمومي وتسـميم حياة الناس.

3- القمـع والإرهاب والقتل وكتم الأنفـاس وإنتاج الوعي المريض والفراغ السياسي والأمني.

4- انتهاب الثـروات والأراضي والممتلـكات واللهث وراء شهوات الدنيا ومناعمها بلا بصيرة.

5- تعميم الفوضى والفقر والفساد والرذائل.

6- غواية وتجهيل الرأي العام وافساد القيم الاجتماعية وجعل المواطن يترنح ما بين الوعي والغيبوبة.

7- التفكيك الممنهج لمؤسسات الدولة والمجتمع المدني.

8- تحطيم شكيمة التماسك الاجتماعي بسلوكيات غير متأقلمة مع العصر وروح التسامح والوئام الإنساني.

9- إحلال العصبة والمليشيات والجماعات المسلحة والقبيلة والعشيرة محل دولة النظام والقانون.

10- تقديم مصلحة القوى الإقليمية والدولية على المصلحة الوطنية والسير بأقدام غير وطنية.

نخب المجتمع الكسيح جشعة تمارس أعظم الرزايا والبلايا بنزعة مازوشية تدميرية، تريد التهام كل شيء بطريقة مجنونة وتسعى بكل ما أوتيت من قوة لتحطيم الإنسان وتحويله إلى كائن غرائزي لا يهتم إلا بالبطن والفرج وموطن على الخضوع والطاعة العمياء وعدم مقاومة الفساد والطغيان والخروج عن السيرة العادلة.

لقد هدرت النخب المتوحشة آدمية الإنسان وتنكرت لأبسط حقوقه الحياتية والمعيشية وتصرفت بثرواته وهدرت كيانه الإنساني وبددت طاقته في صنع الفواجع والكوارث والحروب والأزمات الطاحنة بشكل يومي: حيث يصل التدهور إلى حد

العيش على مستوى الآلية البيولوجية... ندخل هنا في حالة الانكسار الكياني حيث حصل الهوان بالكيان إلى مستوى الشيء الذي يمكن ممارسة أي شيء عليه. وهنا تنهار حدود الأخلاق والحريات ويصبح كل شيء مباحاً أن تمارس عليه أي شيء، كما يتدهور إلى ممارسة أي شيء. (حجازي، 2006: 30).

رابعاً: نخب الشعارات:

النخب الجديدة ضعيفة ومهلهلة ومخترقة تفتقر للقواعد الجماهيرية والسياسية والعسكرية والاقتصادية والثقافية والاجتماعية، ونزر من هذه النخب مشغوفة بالشعارات والكلمات الدخانية وتكرار الصيغ الجاهزة والإثارة والتهييج العاطفي.

من الناحية الديكورية يمجدون الجماهير، أما من ناحية عملية يستصغرونها ويتعاملون معها بانتقائية حسب الطلب والضرورة. إن عقلية الاستبداد مغموسة في أعماقهم،إنهم يرفضون النخب الفاسدة المستبدة، ويريدون أن تحل محلها نخب تمارس نفس السلوك الفاسد الشمولي وتثبت منهج الظلم والجور والقمع في المجتمع بشعارات منبرية وغوغائية التحليل والتفكير وبكومة عفنة من المكر ولؤم الطباع.

إنهم يعيشون في دوامة من التناقضات الوجدانية والمسلكية:

يريــدون الديمقراطية وهم غير ديمقراطيــين، ينادون بالحوار والتسامح وهم غير متسامحين، يتنقدون الفساد وهم غارقون في الفساد المادي والمعنوي، يطالبون بالعدالة والمساواة وهم أنداد للمســاواة والعدالة والإنصاف، يطالبــون بالتعدد والانفتاح والديمقراطية وهم شموليون إلى أبعد مدى، يشكون من الظلم ويمارســون ظلماً اقسى مما يشكون منه، إنهم مع الحرية ولكنهم من زاوية عملية قاتلون لكل صوت حر يجاهر بالحق، يريدون دولة العدالة والمؤسســات وهم يحطمــون مداميك دولة الحق والقانون بطريقة ماكرة ومراوغة.

مجتمعنــا الكســيح مــترع بنخــب مشــغوفة بالشــعارات والطنطنــة الجوفاء والسراب الخــادع وبارعة في انتاج الأوهام والزيف والفهلوة.

هذه النخب تعاني من صدوع داخلية ولا تعيش إلا في سراديب وأنفاق من القلق والتوتر وممارســة الكيد وتنام على وســائد محشوة بالوهم.

إن ما يجمع النخب القديمة والحديثة العقل المتصلب ومن سمات العقل المتصلب:

1- الجمود والتغطرس والتمسك الحرفي بالمقولات والجمل والتكرار الممل للبديهيات.

2- الحفظ المتبلد للشعارات المسكونة بالثرثرة المجانية والجهل.

3- إعادة إنتاج الأخطاء والإصرار عليها.

4- التكفير الديني والتخوين الوطني.

5- عدم التسامح مع الاتجاهات المغايرة.

6- مناهضة الحرية والديمقراطية والرأي و الرأي الأخر.

7- التناقض الوجداني والخواء الفكري.

8- الغوغائية والصراخ والهوس اللاعقلاني بطنين أجوف.

9- الاقصاء والثأر والتآمر والعنف والفتك بالمعارضين.

10-طموحات مثالية تقفز على الواقع وتفتقر للنضج السياسي والفكري.

11-ميل حاد لاحتكار الحقيقة وسلب حرية التعبير.

12-التكتل العصبوي والاستبداد والشمولية بشعارات إنسانية راقية.

13-السلفية المغلقة بعبارات فخمة ورنين أنيق.

14-النفور من النقد والمكاشفة والشفافية.

15-شخصنة الفكر والمؤسسات وضرب العمل المؤسسي والعقل المنتج.

16-الهيمنة وحب الترؤوس والتسيد والتبختر وتضخيم الذات وعجز مزمن عن ضبط الغرائز البدائية (الشميري، 2020: 131-132).

ما نعانيه اليوم من احترابات وتشظيات وفساد وفوضى وجور واضطراب بوصلة الحياة، هو امتداد للسياسة العقيمة التي انتهجتها العقول المتصلبة المصرة على الجمود والتحجر والبقاء في سدة الحكم حتى أخر شهقة في الحياة.

الخلاصة:

في هذا الفصل توصلنا إلى النتائج التالية:

1- تم إضافة نوع جديد من أنواع المجتمعات العربية سميناه «المجتمع الكسيح»، يتسم بالعجز المزمن وكثرة العفن والمرض.

2- نخب المجتمع الكسيح نخب جديدة تحمل شحنة فريدة من الجشع والفساد والفوضى ولذة وحشية في الإثراء والهيمنة وغارقة في انانية عقيمة بعقلية خفيفة بلا وعي.

3- في غميس الحرب والأزمات المزمنة ظهرت إلى السطح نخب الشعارات التي تجيد فن التبرير والالتواءات ومشغوفة بسك الشعارات وصناعة الأوهام وتنتمي إلى جنس النخب الفاشلة.

4- العقل المتصلب قاعدة مشتركة لعناصر من النخب القديمة والجديدة من ذوي البصائر والنفوس المريضة.

المراجع:-

- إبن خلدون، عبــد الرحمن بن محمد (2010). مقدمة ابن خلدون. القاهرة: دار التوفيقية للتراث.
- أبو أصبع، بلقيس أحمد (1999). النخبة السياسية الحاكمة في اليمن 1978 1990-. القاهرة: مكتبة مدبولي.
- الأمم المتحدة (الوضع الإنساني في اليمن وبيانات برنامج الغذاء العالمي)
- https://news.un.org/ar/story/20201064172/10/2021/5/6
- https://arabic.sputniknews.com 142021/10/
- https://www.facebook.com/100051570924089 posts/422641219464905/? Sfnsn=mo
- https://www.alwattan.net/Mnews/ 178214
- www.yemeress.com
- الجابري، محمد عابد (1982). فكر ابن خلدون العصبية والدولــة معالم نظريــة خلدونية في التاريخ الإســلامي. بيروت: دار الطليعة.

- الجابـــري، (1990). العقل الســـياسي العـــربي محدوداته وتجلياته. بيروت: مركز دراسات الوحدة العربية.
- الشميري، سمير عبد الرحمن (2005). محاضرات في علم الاجتماع السياسي. عدن: دار جامعة عدن.
- الشـــميري (2020). الثورة والهجـــرة والهوية في مجتمع متشظ. أبوظبي: ثقافة للنشر والتوزيع.
- الشـــميري، (الدولـــة والمجتمـــع المثـــالي في جمهوريـــة أفلاطون). مجلة كليـــات التربية (جامعة عدن): العدد 5، أغسطس 2003.
- الجمـــل، مايســـة (1993). النخبة السياســـية في مصر. بيروت: مركز دراسات الوحدة العربية.
- النقيـــب، خلدون حســـن (1989). المجتمـــع والدولة في الخليـــج والجزيرة العربيـــة. بيروت: مركز دراســـات الوحدة العربية.
- الوردي، علي حسين (1995). وعاظ السلاطين. بيروت: دار كوفان وتوزيع دار الكنوز الأدبية.

- الوردي، (2001). شـــخصية الفــرد العراقي بحث في نفسية الشــعب العراقي على ضوء علم الاجتماع الحديث. لندن: منشورات دار ليلى.

- بركات حليم (2000). المجتمع العربي في القرن العشرين بحث في تغير الأحوال والعلاقات. بيروت: مركز دراسات الوحدة العربية.

- (تقارير المنظمات الدولية). الأيام (عدن)، العدد: 6225، 6232، 6290، 7234، 7271.

- حجــازي، مصطفــى (2006). الإنســان المهــدور دراســة تحليلية نفســية. الدار البيضاء – بــيروت: المركز الثقافي العربي.

- دونــو، آلان (2020). نظــام التفاهة. ترجمة: مشــاعل عبد العزيز الهاجري. بيروت: دار سؤال.

- زايــد، أحمــد (2005). (النخب بين المجال الســياسي والمجال الاجتماعــي) في: النخب الاجتماعية حالة الجزائر ومصر. القاهرة: مكتبة مدبولي.

الفصل الثاني

سوسيولوجيا الحياة اليومية وانهيار الخدمات

مُدخل:

لقد اســتخدمنا في هــذا الفصــل والفصل الــذي يليه منهج دراســة الحالة وأداة الملاحظة بالمشــاركة والدراسة الوثائقية، فمنذُ 2015 م ونحــن نعيش في غميــس الواقع ونغوص في أعماق المجتمع ونكتوي بالنيران والأزمات والصدمات المرعبة في حياة زاخرة بالمعاطب والمهالك وعلاقة العنف والطغيان.

عــدن هــي المجتمع المحــلي الذي تســتقيم عليه الدراســة، وكان انتخابنــا لمدينة عــدن ليس من فراغ، وانــما لهذه المدينة الأنيسة التي يبلغ عدد سكانها 865 ألف نسمة، وتبلغ مساحتها 750 كم مربــع (ar.zhuji word.com)، ذات ماض عريق متعــددة الدلالات الماديــة والروحية وزاخرة بــروح الوطن وفي ضميرهــا وعمقها وتحت جلدها يعيــش الوطن الجريح، وتحتوي على تشــكيلة اجتماعية تغطي كامل الجغرافيا اليمنية، وإن مــا يحدث في عدن يحــدث في كامل الــتراب الوطني مع اختلاف المســتويات ما بين هنا وهناك وما بين مدينة وأخرى وما بين محافظة وأخرى.

لقد عشــنا سوســيولوجيا الحياة اليومية لحظة بلحظة، عايشنا الحــرب والأحداث والوقائع من مهدها وحتى برهتنا الراهنة، ولاحظنا تطور الأحداث والأزمــات والصدمات والتغيرات

السوسيولوجية والانهيارات الاقتصادية والاجتماعية والثقافية والأخلاقية، ورأينا بأم أعيننا الخراب والدمار واشتعال الحرائق والكراهيـــة العمياء بين أبنـــاء الوطن الواحد والشقشـــقات المناطقية والعنصرية وتهييج الغرائز وانكســـار الروح الوطنية والانحلال المعياري وادمان الدسائس والارتزاق.

في هذا الفصل نجيب عن الأسئلة التالية:

1 – ماذا نقصد بسوسيولوجيا الحياة اليومية وحرب الخدمات؟

2– ما أهم المتغيرات التي أثرت على نمط الحياة اليومية ؟

3– ما أهم قسمات نظرية الصدمة ؟

4– ما ملامح التغير في مفردات الحياة اليومية ؟

ويتكون الفصل من أربعة نقاط رئيسية وهي:

- **أولاً:** مفهوم سوسيولوجيا الحياة اليومية.
- **ثانياً:** متغيرات أثرت على نمط الحياة اليومية.
- **ثالثاً:** نظرية الصدمة.
- **رابعاً:** تغير مفردات الحياة اليومية.

أولاً: مفهوم سوسيولوجيا الحياة اليومية

سوسيولوجيا الحياة اليومية تشكيلة متنوعة من العمل والحركة والنشاط الفيزيقي والروحي والحيوية والتفاعل الاجتماعي والاتصال الاجتماعي والأفراح والأتراح والأحزان والمسرات،والانتصارات والانكسارات، وآلية التفكير، وقواعد الحياة المشتركة والمكابدات المادية والروحية ومعاناة الضُر والبؤس المغموسة بلغة الحياة اليومية والتفاعل البشري والوضع الاجتماعي ونوبات حادة من الألم النفسي والمزلات والمغالط واختلاط الغليظ بالغليظ.

ففي رواية الطيب أرسلان الموسومة ب «يوميات مبرشت» يرصد بعين فاحصة تقلبات الأحوال وسوسيولوجيا الحياة اليومية لبطل الرواية الذي أصبحت لديه العيشة لا تطاق، فأخذ يرصد يومياته بدقائقها وتواريخها يرقم طقس القهر لموظف صغير في مسلك يزخر بالمعاطب وشيوع النغمة النفعية في شبكة الحياة اليومية، قدم استقالته من وظيفته عسى أن يظفر بوظيفة أخرى تدر عليه الأموال وتمنحه نكهة السعادة ولذائذ العيش، إلا أنه خاب ظنه وأرتكب المذمومات في مسلك غير حميد:

أصبحت العيشة لا تطاق في هذه الأيام، فكل شيء قد ارتفع سعره إلا الموظفين من امثالي فهم لا يزالون في حالاتهم

الأولى.. تعساء منسيين مهضومي الحقوق... فزوجتي لا تريد إلا أن تعيش رغــداً وتلبس غالياً لتنافس... فما اشــقاني بها ! وهاهي ترهقني بطلباتها وذهبت تعلم ابناءها كيف يرهقونني، يريدون ثياب جديدة.. (أرسلان، 2003: 43).

إن دراســة الحيــاة اليومية في أوضــاع التفاعــل الاجتماعي الوجاهي تســمى في العــادة « علــم الاجتماع المصغــر « أو المايكروسوسيولوجي. وفي هذا النوع من الدراسة الاجتماعية، يجري التحليل على مســتوى الأفراد أو الجماعات الصغيرة، فما يميزه عن «علــم الاجتماع الكلي « أو الماكروسوســيولوجي الذي يعنى بدراسة الأنســاق الاجتماعية الكبرى: مثل النسق الســياسي أو النظام الاقتصادي. وكما نعلــم أن علم الاجتماع الكلي يتضمــن تحليل عملية التغــير البعيدة الأمــد مثل نمو الصناعة وانتشار التصنيع (غدنز: 160).

وفي هذا المضمار يومئ أنتوني غدنز:

أن التفاعــل اليومــي على صلــة خفية بين تعبيرنــا بالكلمات والمعــاني والإيحاءات التي تنقلها عــبر العديد من الاتصالات غير الشــفوية، ومن بينها تعبيرات ملامــح الوجه، الإيماءات وحركات الجســد. ويطلق على التواصل غير الشــفوي عادة « لغة الجسد» (غدنز: 161).

سوسيولوجيا الحياة اليومية تقوم بدراسة أنشطة الأفراد والجماعات الاجتماعيـــة اليومية والتـــي تتضمن: المأكل والمـــشرب والمنكوح والعمل والنـــوم والتفاعل الاجتماعي واللغـــة والتعليم والصحة والتنقل واللباس والنظافة واعداد الوجبات الغذائية والمشـــاركة الاجتماعيـــة وعادات وتقاليـــد وأعراف الحياة اليوميـــة الروتينية والســـلوك الاجتماعـــي والواقع المعاشي ضمن شـــبكة العلاقات الاجتماعية، والشـــعور بالمكان وأســـلوب ممارســـة الحياة البشرية بطريقة شمولية، واستخدام التقنية، والتسوق، والأعمال المنزلية.

وتشمل الحياة اليومية على:

الإيقاعـــات الطبيعية، وإيقاعـــات فســـيولوجية (وظيفية)، والإيقاعات الاجتماعية (أي المقارنـــات بين قيم الحياة اليومية والقيم الاجتماعية والثقافية)،(العلوان، 2015: 24-25).

وتشير المصادر العلمية أن:

الحيـــاة اليوميـــة هـــي عبـــارة تســـتخدم للإشـــارة إلى الطريقة التـــي يعيـــش بها أو يمكـــن أن يتصرف بها شـــخص مـــا أو فرد أو جماعة أو مجتمع ما، وكيف يفكر، ويشـــعر على أســـاس يومي. الفكـــرة تنطوي على تعريف الذات، وكيـــف يمكن للناس وضع تصور للعلاقات مع العالم والآخرين (ar.wikipedia.org /v).

والحيـــاة اليوميــة تتأثر بالمتغــيرات الاقتصاديــة والاجتماعية والثقافيــة والروحيــة وبالمتغــيرات التــي تحــدث في إيقاع الحياة اليومية.

وتتضمن عدة مكونات: الوســط المعيشي أو الوسط الثقافي.. وأشــكال التبادل المــادي والثقافي.. وأشــكال التدخل التي تســهم في إعادة انتاج الحياة اليومية.. وهو الوجود الجســدي والاجتماعــي والتاريخي الذي يمســك ببنية العــالم المعاشي، والذي يسعى في الوقت ذاته لتعيين الأسس الحياتية والعلاقات القائمة في الواقع المعاشي (زايد، 1992: 20).

ثانياً: متغيرات أثرت على نمط الحياة اليومية:

في غميس سوســيولوجيا الحياة اليوميــة، ثمة متغيرات أثرت بشكل عظيم على الحياة اليومية وعصفت بنمط الحياة وشكلت طاقة خطر على الســكينة والرضوان والوئام المدني، وأدت إلى الفقر والمجاعة وتذويب المؤسســات والأفراد وتكسير النظام القيمي واضطــراب التأقلم والاعتــلال النفسي وضغوطات القلــق الفكري والوجودي وجردت الإنســان من الطمأنينة، ونجمل هذه المتغيرات **على النحو التالي**:

1- انهيار الدولة والمؤسسة:

لقد أومأت في غير مرة، أن تكسير صواميل الدولة والمؤسسات أمر جليل الخطر ضاعف من الانهيارات وجعل الناس يسيرون بدون بصيرة يلعقون مرارات الفوضى والفاقة والفساد ويتقلبون في نمط حياة شاقة وصلت إلى نقطة الانكسار (الشميري، 2018: 250).

فثمة قوى تدفع بالمجتمع إلى الهاوية وتدأب بقوة لنقله من الحالة الاجتماعية إلى الحالة الغرائزية البدائية ليأكل نفسه بلا هدى.

في وضع اللادولة فقد المجتمع التوازن وطحنته الحروب والفوضى والفساد والأمراض وأضحى المجتمع يدمر نفسه في فضاء غيبوبة الوعي والقطيعة والتهاجر.

إننا نسير فوق أسلاك خطرة يسود فيها (حرب الكل ضد الكل)، حسب تعبير المفكر الإنجليزي توماس هوبس Thomas Hobbs (1558- 1669)، حيث يكون عنوان المجتمع القتل والحرب والرعب والفوضى والترجرج والفتن وعدم الاستقرار والتفلت، ويكون الإنسان عدواً لأخيه الإنسان، السمك الكبير يأكل السمك الصغير، والقوي يلتهم الضعيف، والجاهل يتسيد على المتعلم، وتتعظم قوة وجبروت العصابات والسُراق

وعتاولة الفساد، وتنكسر شـوكة العدل والانصاف، وتترسخ أقدام الصلف والبلطجة ويختلط الغليظ بالغليظ.

في مجتمع اللا دولة تنهار البُنية التحتيـة والفوقية وينهار البناء الاجتماعي والمؤسسـات والقوانين وتدمر الصناعة والفلاحة والتجارة والثقافة والتعليم والصحة والقيم الاجتماعية ويدمر الإنسان الذي يشكل عماد التنمية:

انهيار الدولة أو انحلالها أو سـقوطها هو الفشل الكامل لنمط الحكم داخل الدولة ذات السـيادة. وفي بعض الأحيان يؤدي ذلك إلى دولة فاشلة، كما حدث في الصومال ويوغسلافيا خلال عقدها الأخير. وفي كثير من الأحيان، هناك عملية انتقال فورية إلى إدارة جديدة، يجري خلالها الحفاظ على الخدمات الأساسية مثل جمـع الضرائب، والدفـاع، والشرطة، والخدمـة المدنية، والمحاكم في جميع أنحاء البلاد.

وقد يتزامن مع انهيار الدولة الانهيار الاقتصادي. انهيار الدولة مرادف للانهيار المجتمعي، والذي غالبا ما يكون عملية مطولة (httb: / /ar.m.wikipedia.org).

فالدولـة ضرورية من أجـل التنمية وتثبيـت مداميك الأمن والاستقرار وتوطيد ميزان العدل ودك أسس الفوضى والفساد

والفتن والصراعات وتسوية الخلافات بين الناس بالعدل على أساس النظام والقانون والدستور وشرعية المؤسسات ومن مهامها استخدام القوة لأحقاق الحق وتهذيب سلوكيات شاذي الآفاق وارغام العصاة والمحتالين وأهل الجور والفساد على الالتزام بالقوانين ونواميس المجتمع وتربية المواطنين وتقوم بتنظيم حياة المجتمع على أساس الحق والقانون وتنمية وزرع السكينة والأمان في المجتمع وحفظ الأمن ومحاربة الجريمة ومنطق الاستقواء والسيطرة على كل شيء بدافع الجشع والغرور والقوة والاستكبار.

فالدولة أداة ارغام واشراف وتخطيط وتنمية وتنظيم سياسي واجتماعي واقتصادي وثقافي وتعليمي وصحي وقانوني للمجتمع، تسعى إلى إحلال المساواة والعدالة والتنظيم والتوزيع العقلاني الاقتصادي للموارد والمداخيل، بما يضمن التنمية المستديمة والسلام الاجتماعي وانهاء الفوضى والتسيب وضبط إيقاع الحياة بألوانها الطيفية:

الغاية القصوى من تأسيس الدولة ليست السيادة وإرهاب الناس، أو جعلهم يقعون تحت نيران الاخرين، بل هي تحرير الفرد من الخوف بحيث يعيش كل فرد في أمان بقدر الإمكان،

أي يحتفظ بالقدر المستطاع بحقه الطبيعي في الحياة والعمل دون إلحاق الضرر بالغير. الغاية من تأسيس الدولة ليست تحويل الموجودات العاقلة إلى حيوانات أو آلات صماء، بل إن المقصود منها اتاحة الفرصة لأبدانهم وأذهانهم كيما تقوم بوظائفها كاملة في آن تام، بحيث يتسنى لهم أن يستخدموا عقولهم استخداماً حراً دون إشهار لأسلحة الحقد أو الغضب أو الخداع، بحيث يتعاملون معاً دون ظلم أو إجحاف (سيبنوزا، 1982: 446).

فالدولة عندما تنهار وتتخلى عن وظائفها يسود الهرج والمرج ويختلط الحابل بالنابل وتتفشى القلاقل والمحن والإملاق والانهيارات، ويدخل المجتمع في نفق مظلم عنوانه النهب والفوضى والحروب والتشظي، وتدمير الوعي والهوية والاحترابات المجنونة، والاغتيالات، والتفجيرات،والبلطجة، وسقوط مروع للقيم والأخلاق وآدمية الإنسان.

إن تدمير الأوطان تبدأ من نقطة تدمير كرامة وشموخ وأنفة المواطنين وشل قواهم وقدرتهم على العمل والحركة والتأمل والتفكير والتغيير والنقد والابداع المثمر.

سقوط مؤسسات الدولة يخلخل ميزان التوازن الاجتماعي ويؤدي إلى فساد وخراب مرعب، حيث يعيش الناس في مساحة

شاسعة من التوتر والتشـــنج وانعدام الأمان المادي والروحي والاعتلال الصحي واضطرابات التفكير وتســـير فوق أجساد المنهكين والمحطمين عربات الجهل والعنف والفقر وغياب لغة التسامح والمحبة والتفكير المتبصر، وتطفو على السطح الأحقاد الطائفية والقبلية والمذهبية والشـــطرية وتنهش المجتمع مخالب السفلة واللصوص.

فأهـــل القوة في هذه الأوضاع المتلاطشـــة يسرقـــون وينهبون ويســـفكون الدماء ويسعون بلذة وحشية للهيمنة على كل شيء بالعنف وآلات الحـــرب والكفاح وبآليات المغالطة والســـطو عـــلى الأذهان وزلزلة الاســـتقرار وتضخيم الـــذات واحتقار الآخر وكسر صمود وكبرياء الناس وغـــرس جرثومة الوعي المنكسر، لتطبيع الناس على الخنوع والاستسلام واحترام الظلم والتعايش مع القهر والإذلال.وعن ألفة الاستبداد يقول المفكر العربي عبد الرحمن الكواكبي: (1849 - 1902م).

ألفنـــا الأدب مع الكبير ولو داس رقابنـــا، ألفنا وثبات الأوتاد تحت المطارق، ألفنـــا الانقياد ولو إلى المهالـــك. ألفنا أن نعتبر التصاغر أدباً والتذلل لطفـــاً، والتملق فصاحة واللكنة رزانة، وترك الحقوق سماحة، وقبول الإهانة تواضعاً، والرضا بالظلم

طاعة، ودعوى الاستحقاق غروراً، والبحث عن العموميات فضولاً، ومن النظر إلى البعد أملاً طويلاً، والإقدام تهوراً، والحماية حماقة، والشهامة شراسة، وحرية القول وقاحة، وحرية الفكر كفراً، وحب الوطن جنوناً (الكواكبي، 2006: 160).

ولعله من المناسب في هذا المضمار تبيان علائم ومؤشرات تفكك مؤسسات الدولة الذي أدى إلى كوارث وخراب مجتمعي:

1- تعطيل الدستور والأنظمة والقوانين واحلال الفوضى والعشوائية والعادات والأعراف القبلية والاجتماعية محل الدستور والأنظمة والقوانين ولا يوجد فصل بين السلطات الثلاث ولا تخضع الهيئات والمراجع المسؤولة لسلطة القانون مع عدم التدرج في القواعد القانونية وانعدام الرقابة القضائية وعدم الاعتراف بحقوق الإنسان وآدميته.

2- تحطيم مؤسسات الجيش والأمن والمؤسسات المدنية واحلال مليشيات وقبائل وجماعات عصبوية واجتماعية مسلحة محل الجيش والأمن مع تحطيم للبُنى والمؤسسات المدنية.

3- تسريح أعـــداد غفيرة من أفراد الجيش والأمن ورميهم في الشارع وطال هذا التسريح موظفين في السلك المدني:

حيث تــم إحالة 70 ألــف عســكري وموظف جنوبي للتقاعد القسري خارج نطاق النظام والقانون.

4- جعل التقاسم والمحاصصة أساساً في التعينات في السلك المــدني والعســكري والدبلومــاسي بمنأى عــن النظام والقانون والمؤهلات العلمية والعملية والخبرة والكفاءة

5- تكريس التشظي والتشققات والتبرعمات وافساد الهياكل والبُنــى والمؤسســات والأفــراد بالراشــوات والهبات والعطاءات والوظائف بطرق غير قانونية.

6- التحرك بأقدام فاسدة ومحاولة إفساد من لم يُفسد.

7- تعدد التشــكيلات والبناءات والهيــاكل ومراكز القرار وتداخل المســؤوليات وتكرارها مما أضعــف كثيراً هيبة الدولــة وأدى إلى مزيد من الفــوضى والانفلات وعدم اِستقلالية القرار الوطني.

8- تفاقم ظهرة الوظائف الوهمية في السلك العسكري والمدني وتعدد جهات الصرف للموظفين المدنيين والعسكريين،

حيث أن الانفاق على القوات المســلحة والأمن يشــكل 60 ٪ من ميزانية الدولة وحســب التقديرات الحكومية يوجد 64 ألف أســم وهمي في سجلات القوات المسلحة يستلمون رواتب شــهرية بانتظام، فضلاً عن قيام جهات بصرف مرتبات لتشكيلات مســلحة غير نظامية، حيث تصرف إحدى الدول على 90 ألف مسلح.

9- عجز الحكومة عن صرف رواتــب الموظفين الذي يصل عددهــم إلى 25و1 مليون موظف يعيلــون 9و6 مليون نســمة، وتعيش الحكومة ضائقة مالية كبيرة لم تتمكن من تحســين رواتب الموظفين وإحقــاق حقوقهم تحت حجة شــحة الموارد في حين أن الحكومة تصرف (ثمانية ملايين وســتين ألف دولار) رواتب الموظفــين خارج الوطن والبعض منهم ليسوا ضمن قوام الجهاز الحكومي وهناك تعيينات عشوائية في السفارات حيث يوجد:

105 ملحــق في الســفارات اليمنيــة حــول العالم وفي دول ليســت لدينــا معاهــا أي علاقات صحيــة أو فنية أو اقتصادية، وكل ملحق يستلم مرتب شهري لا يقل عن 6 ألف دولار امريكي أي 700ألف دولار امريكي سنوياً.
(https: / /ar.m.wikipedia.org)

والمضحك في ظل الضائقة المالية للبلد تزداد عدد التعينات لشراء الذمم وشراء الولاءات فيوجد لدينا:

37 وزيـــراً، 37 نائـــب وزيـــر، 370 وكيـــل وزارة، 220 وكيل محافظة، و 10 مستشـــارين لرئيس الوزراء، 300 وزير مفـــوض ومستشـــار، 30 موظف في مكتب رئاســـة الجمهوريـــة بدرجة وزير ونائـــب وزير ووكيل، و30 موظفاً في مكتب رئيس الوزراء بدرجة وزير ونائب وزير ووكيل وزارة (الأمناء، 2020: 16).

10 -تواجد الرئاســـة والحكومة والبرلمان والســـلطة القضائية وكبـــار الموظفين المدنيين والعســـكريين خـــارج التراب الوطنـــي، حيث تدار أحـــوال الحكومـــة والمواطنين من الخـــارج، وجعلوا النـــاس يلعقون المـــرارات وتدمرهم الأزمات ويعانون من المآسي وجحيم الحياة بدون حكومة ولا ســـلطات، والقوى المهيمنة تمنح رُتب ومسؤوليات لبعض الأفراد والشخصيات لا سكاتهم لا لكي يمارسوا وظائفاً على الأرض وإنما لكي يرتزقوا من هذه الوظائف وينصرفوا خارج نطاق وظائفهم للالتحاق بركب الفساد ومراكمة الأموال والتفنن في سرقة الدولة والمواطنين.

11 -أصبحت السلطات التنفيذية والبرلمانية والقضائية صورية وأضحوكــة في أعين الناس، حيــث لا يعرفون من أفراد هذه السلطات ســوى الصور في الفضائيات والخطابات والبيانات المنمقة واللقاءات المعسولة في وسائل الإعلام ووسائل الاتصال الجماهيري.

12 -إحلال المؤسسة القبلية والدينية والعصبيات الضيقة محل مؤسسات الدولة حتى أصبحت هذه المؤسسات هي التي تدير الأمور وتحل القضايا بالعــادات والأعراف القبلية خارج سلطة الحق والقانون.

13 -تشــجيع الجماعات المسلحة والمليشيات على التطاول على مــا تبقى من المؤسســات حيث يقومــون بالاعتداء على القُضاة والوزراء وكبار موظفي الدولة وإهانة السلطات والتمرد على الهيئات وســلطان القانون لتذويب الهياكل والمؤسسات والدوس على الأنظمة والقوانين.

14 -تخلي المؤسسات عن وظائفها وعلى أهم وظيفة هي وظيفة الضبط واستعمال القوة لإحقاق الحق، فالمراجع المسؤولة ليست مسؤولة عن اســتتباب الأمن والاستقرار، ليست مســؤولة عن ضبط الأسعار، ليست مســؤولة عن كبح

جماح المنحرفين وشاذي الآفاق، ليست مسؤولة عن التعليم والثقافة والصحة والصرف الصحي، ليست مسؤولة عن تنظيم حياة الناس ولا عن الأمن المعيشي والوجودي...

فمهمتها تكمن في جمع الأموال والتفنن في اللصوصية والاغتشاش وتأجيج الفتن والاحترابات بين المواطنين.

15- تدأب المراجع المسؤولة إلى تحطيم شكيمة التوازن الاجتماعي واشعال الفتن وكسر رقبة المؤسسات والنظام والقانون، وتوطين المواطن على العيش خارج أسوار الانتظام العام، وجعل حياته عبثية فوضوية خالية من نكهة الأمان والدفع به بقوة صوب البلطجة والفساد والغش والرياء والكذب وأخذ حقه بيده وعدم الركون على المؤسسات الضبطية أو المؤسسات الحكومية.

16- تخوض ما تسمى بالمؤسسات حرباً ضد المواطنين وتحولت من أداة لتحقيق السكينة والأمان إلى أداة لزعزعة حياة المجتمع حيث تقوم بمصادرة حقوق المواطنين وممتلكاتهم وزرع الفتن.

17-بزوغ شرائـــح اجتماعية جديـــدة في الســـلطة وخارجها همهـــا مواصلة الحرب وانتهاب الأموال وممارســـة الجور ولهف ميزانية الدولة والمساعدات وتعقيد حياة المواطنين والضغـــط عـــلى حلوقهـــم في أتـــون حـــرب الخدمات ومسلسلات انهاك المواطن بشتى السُبل والوسائل المتاحة.

18-النخب المتنفذة القاطنة في غميس الفساد تدير الوطن بلا وطنية ولا سيادة ولا ضمير إنساني.

19- المرافق العسكرية والمدنية صارت اقطاعية لبعض المتنفذين حيث يتم شخصنتها وامتصاص مواردها لصالح النخب المتوحشـــة والزُمر القوية والأقرباء والأصدقاء والشـــلل والعصبيات، حيث يتم فتح النوافذ لبعض الأفراد والزُمر والجماعات وتقفل في وجوه العامة.

20-تعطيل جهاز السلك القضائي، حيث تم تعيين نائباً عاماً للسلطة القضائية من خارج السلطة القضائية على خلاف النظام والقانون، فضلاً عن إغلاق المحاكم وبيوت العدل في وجـــوه المواطنين ممـــا أفضى إلى مزيد مـــن التناحرات الاجتماعيـــة وتراكـــم المشـــاكل اليوميـــة التـــي تعصف بحياة المواطنين.

21-النخب المتنفذة تمـــارس حرية مطلقة في الفوضى والنهب والاعتساف والفســـاد المادي والمعنوي وتشجع الآخرين في المجتمـــع على ممارســـة حرية بلا ســـقف وبلا حدود، لكي يتســـنى لها ارباك المشهد العمومي وتنفيد أجندتها في تدمير المجتمع وتسميم العلاقات الاجتماعية وامتصاص الثروات وافساد من لم يفسد.

لقد دفعوا العامة إلى ممارسة حرية بلا ضوابط:

أنت حر وأنا حر وكلنا أحرار، لكن الحرية التي نراها ونلمسها بأصابعنا لها طعم الفوضى والتفلت والســـم الزعاف يرفضها العقل ولا يستســـيغ معناها، حرية بلهاء يتســـلى بها أصحاب النفوس المريضة الذين لا هم لهم ســـوى الهيمنة والضغط على أنفاس المجتمع بحجج باطله لا تقوم على منطق ووعي سوي.

ثمة عرابدة يســـعون لنشر الظـــلام والفوضى واخمـــاد غريزة الفضيلة واطفاء شـــعلة الحرية والديمقراطية التي تتقوم على: دولة الحق والقانـــون، وحقوق الإنســـان، والتعددية، وحرية التعبـــير، والمواطنة المتســـاوية، وفصل الســـلطات، والوعي والثقافـــة والتعليـــم،و الاســـتقرار الســـياسي والاقتصـــادي والاجتماعي والثقافي، والتناوب السلمي للسلطة، والانتخابات الديموقراطية والأخذ بمبدأ الاغلبية.

الحرية عند عتاولة الجهل والطائشــين وشاذي الآفاق تحولت إلى نمط من انماط الهدم والفوضى والاحتراب والتناشز المدمر والنزق والطيش.

تحولت الحرية إلى لــون من ألوان العبث والهســتريا والجنون خارج أسوار الضوابط والقواعد القانونية والأخلاقية الضابطة لإيقاع الحرية والديمقراطية.

الفراغات مرعبة في المجتمع متســاوقة مع أزمة تهتك وخراب وضلالة عمياء عند قســط معتبر من العامــة الذين يتمادون في الزلة والإثم ويقلبون المفاهيم رأساً على عقب بغير سداد.

فالحرية بدون سلطة ولا مؤسسات ولا قوانين ولا انصاف لعبة مرعبة تغلف الباطل بغلاف الحق وتجلب أعظم الرزايا والبلايا والتخلف والأوهام وتجســم الانحرافات وتضخم الغلطات والشــعوذة والكيــد والنزعــة الذئبية وتزيد مســاحة الباطل ونبضات الهوى.

لســت حراً حين تنهب المال العام وتعبــث بخيرات المجتمع وتدمر المســالك والطرقــات والعمران وتحطم شــبكات الماء وتقطع اســلاك الكهرباء وأنابيب المجاري، لســت حراً حين تعنف الناس ببلطجية شــديدة وترميهــم باللؤوم والخزي في

إقداع شنيع، لست حراً حين ترسخ أقدام البلطجة والانحطاط، فأصبح:

حامل السلاح حراً حين يطلق الرصاص في الهواء، واللص حراً حين يسرق، والسفيه حراً في شتمه للأعراض، والقاتل حراً في سـفكه للدماء، والفوضوي حراً حين يسـد منافد الطرقات، والطالب حراً حين يغش ويعتدي على أساتذته، والمتشدد حراً حين يكفر الأخرين، والمتعصب حـراً حين يجمح ويسرف في الجموح، والتاجر حراً حين يرفع الأسعار، والموظف حراً حين يعطل الأشـغال، والمؤدلج حراً حين يخلق العتمة والشقشـقة العقائدية الفاسدة:

فالحرية ملتبسة في كل قاموس، لها مواضعها البارزة، الصعاليك أحرار، الغجر أحرار، الثـوار أحرار، الفنانون أحرار، التجار، الساسة، المعارضون أحرار.. المهم أن تكون الحرية دافعاً حقيقاً للارتقاء وليس وساماً فخرياً للسقوط (السمان، 2005:278).

ما أسوأ الأوضاع المخبوصة المعجونة بالشقاء والألم والمضض الروحي والخراب والبوار التي تسود فيها حرية بلا حدود ولا ضوابط.

فالحرية كما تشير المواثيق الدولية:

تقوم على حق ممارسة كل عمل لا يضر بالأخرين ، وعلى البشر أن يعاملـــوا بعضهم بعضاً بروح الإخاء ولا يمكن للقانون أن يمنع إلا الأعمال التي تضر بالمجتمع (جميل، 1986: 19).

الحرية مســـلك عاقل يزن الأمور بالقســـطاس المستقيم وهذا المســـلك لا يضر بحرية وحقوق الأخرين، يتصرف من خلالها الإنسان بوعي خارج قيود الخوف والهيمنة والعبودية، والحرية تعطي الإنســـان حق الاختيار وحرية القـــول والتعبير وحرية الضمير والمعتقد وتحقيق الذات في مسرب شفاف وعادل بمنأى عن الإملاءات والضغوط والجزع والترهيب والترغيب.

تنتهي حريتـــك عندما تضر بتصرفاتك الأخرين وتهشـــم قيم التســـاكن و التجانس والتسامح الإنســـاني وتستبيح بفضاضة خصوصيات النـــاس وتدمر قواعد الوئام والعيش المشـــترك بلا بصيرة و لا لب:

تبدأ الحرية حين ينتهي الجهـــل، لأن منح الحرية لجاهل كمنح سلاح لمجنون (https: / /mobile.twitter.com).

2- حرب الخدمات:

تغيرت اســتراتيجية الحروب لإنهاك الشــعوب والانقضاض عليها عبر استراتيجية التآكل وزعزعة الأمن والاستقرار لخلق الدولة الفاشلة.

فالحروب الحديثة ليســت مهمتها تحطيم المؤسســة العسكرية بل هدفها « الانهاك -التآكل البطيء»حســب تعبير البروفسور / ماكس مانوارينج max manwaring خبير الاســتراتيجية العسكرية في معهد الدراسات التابع لكلية الحرب الأمريكية.

لابد من قلب حياة الناس رأساً على عقب وتدويخهم بالأزمات المتتاليــة وتنغيــص حياتهم وجعلهــم خارج إطــار المعقول لا يفهمون ماذا يحدث لهم وغير قادرين على تفســير العراكات والاحترابات والتشــظيات والجوع والفقر والكراهية العمياء والخراب النفسي والحياتي:

التــآكل البطيء يعني خراب متدرج لمــدن، وتحويل الناس إلى قطعان هائمة..شــل قدرة العدو على تلبية حاجاته الأساسية، تحويل نقص الحاجــات إلى وجه من وجــوه الحرب لابد من ارباك البشر بأزمات وحــروب في كل الجهات بحيث يكونوا غير قادريــن على مقاومــة هذا الهجــوم الــشرس والبطيء

وغير قادرين على لملمة أشلاء المجتمع وابتكار حلول للأزمات ويتم نهش المجتمع من الداخل (عبر وكلاء محليين) والحرص على أن لا تسقط الدولة سريعاً ويضيف ماكس مانوارينج:

أفضل الطرق هو التآكل البطيء، بهدوء وثبات عبر سنوات من خلال معاونين محليين، لأن الهدف هو السيطرة وتقويض الدولة والمجتمع، محو الدولة والمجتمع عبر عملية طويلة (alraya.news /tag/).

المجتمع اليمني يواجه عدة حروب أبرزها:

1- حرب حكومة الشرعية والتحالف العربي ضد الحوثيين.

2- الحرب ضد القاعدة وداعش والجماعات المتطرفة.

3- حروب القبائل البينية.

4- حروب المليشيات والجماعات المسلحة ضد بعضها البعض.

5- حرب الخدمات.

حرب الخدمات هدفها تحطيم الدولة والمجتمع وتكسير شوكة الإنسان وجعله يقبل بكل الحلول من أجل أن يعود إلى التوازن والهدوء والسكينة والرضوان.

الحـــرب الدائرة في غميس الـــتراب الوطني لها أبعـــاد إقليمية ودولية وعلى همزة وصل قوية بالســيطرة عـــلى الموانئ اليمنية والممر الملاحي الدولي « بـــاب المندب « ولهف ثروات البترول والغاز والذهب والمعادن الأخرى، وجعل المجتمع دوماً فقيراً بائساً يتوسل المساعدات ولا يقوى الوقوف على قدمه.

وتشـــير التقارير الدولية أن اليمن يملك ربع نفط العالم، بنسبة تقـــدر 34 ٪،وأن احتياطي النفط في اليمن أكثر من احتياطات النفط في جميع دول الخليج العربي.

الحرب هي الويل والهـــلاك، وكم هو معبر عما تلحقه الحروب بالبشرية من أذى ودمار وويلات تطال الأرواح والممتلكات، فالحرب هي الكلمة المرعبة التي إن وقعت على الســـمع فإنه لا يمكن تخيـــل ما تحدثه من ويلات ومن مصائب إذا اســـتعرت نيرانهـــا..إلا أن أغلب أســـباب الحرب كانـــت للحصول على المكاســـب والغنائم والثـــروات الطبيعية للبـــلاد التي تكون غالباً ضعيفة التســـلح، فتقوم البلاد القويـــة بمحاربتها بهدف الاســـتيلاء على ثرواتها، كما هـــو حاصل في الوقـــت الحالي . (https: / /soror.com)

وثمة أنواع للحروب لكسر العمود الفقري للبلدان من ضمنها الحرب العسكرية والاقتصادية والاجتماعية والثقافية والحرب النفسـية وحرب الخدمـات التي تهـدف إلى تفكيك المجتمع وزيادة حدة التشـظيات وتحويل الإنسان إلى كائن غريب عن مجتمعه وعن هويتـه وترابه الوطني يناصـب العداء الوطن، بعد أن عاش في أحضان الفقـر والرعب والبؤس والمكابدات الوجودية والضيق النفسي والإحبـاط وفقد مقومات العيش الكريم، فخرجت من أعماقه كراهية للوطن الذي لا تتوفر فيه مقومات الحياة:

من الغباء: أن أدافع عن وطن لا أملك فيه بيتاً.

ومن الغباء: أن اضحي بنفسي ليعيشوا أطفالي بعدي مشردين.

ومن العار: أن أترك زوجتي فريسة للكلاب بعدي.

الوطن حيث تتوفر مقومات الحياة لا مسببات الموت (الماغوط، 2004: 120).

في نزولي الميـداني قالت لي إحدى المنكوبات بداء الفقر والجهل والمرض وهـي حزينة والدمـوع تتهاطل مـن عينيها بعد أن تجرعت مرارة العلقم:

« إين نذهب ؟ لقد عجزنا عن شراء الخبز، ومحرومون من أكل السمك واللحم والخضروات، محرومون من الماء والكهرباء والغاز المنزلي... نتحصل على رواتب حقيرة لا تكفي لشراء علبة زيت، محرومون من الأمن والأمان».

الإنسان مسحوق في هذا المجتمع محروم من الحاجات الأساسية التي تشكل محوراً اساسياً للوجود البشري، ولقد أشار عالم النفس الأمريكي أبرهام ماسلو Abraham Maslow (1908-1970) ، إلى الحاجات الأساسية التي يجب توفرها للإنسان: (https: / /uobabylon.edu.q)

1 - الحاجة الفسيولوجية physiological - التي تخدم البقاء البيولوجي بشكل مباشر، الطعام، الماء، الملبس، المسكن، والتزاوج (الجنس).

2 - حاجات الأمان Safety eeds - شعور الإنسان بالأمن المادي والروحي والشعور بالإطمئنان والثابت والنظام والحماية والاعتماد على مصدر مشبع للحاجات.

3 - حاجات الحب والانتماء Love and Belonging needs - علاقة الحب والحميمية والألفة بين أفراد الجماعات وهي علاقات تنعكس في الأسرة والحي السكني والمناشط والفضاء العمومي.

4- حاجـــات التقديـــر Esteem needs - الحاجات المتعلقة باحترام النفـــس والإحســـاس الداخلي بالقيمـــة الذاتية واكتساب الاحترام والتقدير في البيئة الاجتماعية.

5- حاجـــات تحقيـــق الـــذات Self-actualization meta needs- الحاجات التي تتركز في سعي الإنسان للوصول إلى غايات سامية وتحقيق حاجات معرفية وجمالية.

ســـنركز في هذا المسرب عـــلى مفردتين أساســـيتين من حرب الخدمات وهي: الكهرباء والماء.

أ- الكهرباء:

لقد استخدمت القوى المهيمنة الكهرباء كأداة من أدوات حرب الخدمات، وتم تحويل الكهرباء من أداة للصلاح تصب في خانة خير المجتمع، إلى أداة للطلاح والمنغصات وتكدير حياة العامة وتسميم حياة المجتمع.

لقـــد أضحت حياتنا ظـــلام في ظلام وكأن النخب المســـيطرة والقوى المهيمنة، تريد القول لا ســـبيل لكم سوى الاستسلام للأمر الواقع، وإياكـــم والثورات والاحتجاجـــات والمطالبة بتغيير ســـلطة الفاســـدين، عليكم الامتثال للأوامر وتســـليم

أمركم للسلطات الجائرة التي تستمد وجودها من الدعم الخارجي وتنفذ كل الأوامر القادمة إليها دون تلكؤ وبثقة كبيرة من أن يد الحق والعدالة والانصاف لن تصل إليهم.

أبرز العناوين لحياتنا حرب أهل الباطل والفجور على الشعب ورفع وتيرة حرب الخدمات ومنها الكهرباء.

ثمة أُناس في الهيئات قد جبلوا على الكذب ودفن الحقائق، بحيث أصبح الكذب مفردة عريضة في حياتنا اليومية لغواية الرأي العام ولمزيد من الضغط على حناجر العامة.

نكاد نفتقد التوازن من التلوث اللفظي والنفسي والمعيشي والاجتماعي والحياتي، إننا نشعر بالدوار والملل والسأم من هذا الصراخ البليد ومن التلوث البيئي والوجودي ومن هذا الحشد الكثيف للجمل والمفردات والعبارات الرنانة المرقطة والضجيج الأرعن.

ألمنا يتضخم عند سماعنا أصوات الوجوه المترعة بالمساحيق الدسمة تغوي العامة بثقافة الكذب وتصيب حياتنا بالتكلس والوحشة والجزع والرنين المزيف.

إن حياتنـــا اليومية تدار بعقلية الثعالــب ولقد وصلنا إلى نقطة حرجة من البؤس الاقتصــادي والاجتماعي والثقافي والمعرفي والأخلاقــي، إننا أمــام فهلوة يقــود ســمفونيتها رهط من المتحذلقين الذين تسلقوا سلم السلطة بدون وجه حق.

لقد عذبنا هؤلاء بحروبهم المجنونة وبكذبهم وفهلوتهم وتلون وجوههم ولعبهم المريضة، إنهم يجلدوننا تحت ستار سميك من الرياء وقلب الحقائق والدعايــات الصاخبة التي تقتل الإرادة وتميت العزائم:

فأصحاب الجلد الغليظ فقدوا رقة الإحســاس أو خاصمتهم رهافة الشعور، فصاروا يقتحمون حياتنا بكل بلادة، يفرضون أذواقهم الرخيصة، ويمارسون ســلوكهم البغيض على الجميع (عراق، 2008: 162).

وفي نفس الاتجاه وتســاوقاً مع ارتفاع درجــة حرارة الصيف تزداد انقطاعات الكهرباء وتســبب مشــاكل جمة منها: موت بعــض الأفراد وخصوصــاً المرضى وكبار الســن والأطفال، تعطيل أشــغال الناس، تعطيل الدراسة والحياة العامة، خروج مظاهرات واحتجاجات في الشــارع بســبب انقطاع الكهرباء وسقوط قتلى وجرحى، زيادة حدة المشاكل الصحية والنفسية،

أعطاب في المســتلزمات الكهربائية والمنزلية والتجارية والطبية والخدماتية.

دائماً ما تبرر الجهات المسؤولة انقطاع الكهرباء بسبب:

احتراق التربونات في المحطات الكهروحرارية، نقص في الوقود والديزل، سرقة الكيبلات وأســلاك الكهرباء، اعتداء شاذي الآفاق عــلى محطات الكهرباء، التقطعــات القبلية والبلاطجة لقاطــرات النفط والديــزل التي تمون المحطــات الكهربائية، عدم إبرام عقود لإنشــاء محطات كهربائية جديدة، عدم تسليم مســتحقات الطاقة المشــتراه من القطاع الخــاص، اختطاف ســيارات الكهرباء، الاعتداء على عمال الكهرباء، اطلاق النار عــلى منصات وأعمدة الكهرباء، اســتخدام الخبطات الحديدة لقطع أســلاك الكهرباء، اضراب عمال الكهرباء بســبب عدم استلامهم الرواتب...

لقــد تحولت حياتنا إلى ظلام دامس تلســعنا ســياط الفوضى وحرارة الصيف، وتعذبنــا الانقطاعات المســتمرة للكهرباء التــي تقلب حياتنا رأس على عقب، فلا نســتطيع العيش حياة طبيعية مثل كل الناس في بقاع المعمورة، ولو أن العالم الإيطالي اليساندرفولنا (مخترع البطارية الكهربائية)، والعالم الفرنساوي

أنديريه أمبير (مخترع التيار الكهربائي)، عاشـا في زماننا لبكيا على أحوالنا المعجونة بالشـقاء والفوضى والفساد،فقد تحولت الكهرباء من أداة لنماء وسعادة الإنسان إلى وسيلة لقهر وإذلال الإنسان وعرقلة مسيرته التنموية.

ولسـت بحاجة للقول، أن محطة الكهرباء أنشئت في عدن عام 1926م ويتواجد في عدن 8 محطات كهربائية أشهرها:

1- محطة خورمكسر التي تأسست عام 1975م.

2- محطة المنصورة الكهربائية التي أنشئت عام 1982م.

3- محطـة الكهرو حرارية في مدينة الشـعب « محطة الحسـوة الكهربائية» التي تأسست عام 1986 م.

فثمة أسباب متعددة ساعدت على زيادة ازمة الكهرباء منها:

1- عدم صيانة المحطات الكهربائية.

2- سرقة معدات وتجهيزات المحطات الكهربائية والكيبلات والأسـلاك الكهربائية، حيث بلغت المسروقات لأسلاك الضغط العالي خلال شـهر واحـد 1400 متر (الأيام، 2022: 1).

3- البناء فوق خطوط الكهرباء.

4- نهب وسرقة الديزل والبترول المخصص لمحطات الكهرباء.

5- التسيب الإداري والمالي.

6- عدم تحصيل فواتير الكهرباء واحجام المواطنين عن تسديد فواتير الكهرباء بسبب الخدمات الرديئة.

7- التخريب المتعمد لمؤسسة الكهرباء والسكوت عن السرقات والنهب لموارد المؤسسة العامة للكهرباء وعصابات في مؤسسة الكهرباء تقوم بسرقة الطاقة الكهربائية وتدمير المنشآت الكهربائية.

8- عدم التقيد بالأنظمة والقوانين في المؤسسة ودمغ عمل المؤسسة بالطابع العشوائي وكسر القيود القانونية المنظمة لعمل مؤسسة الكهرباء.

9- كثرة التعينات للمسؤولين في المؤسسة بمنأى عن النظام والقانون وتعطى الأولوية للمحسوبية والانتهازيين.

10- الربط العشوائي لأسلاك الكهرباء من قبل المواطنين وأحياناً بمساعدة عمال الكهرباء.

11- عدم وصول مخصصات محطات الكهرباء من البترول والديزل في وقتها المحدد.

12-تعرض محطات الكهرباء ومنشآتها للتخريب ولحوادث مرورية تؤدي إلى انقطاع التيار الكهربائي.

13-حرائق في محولات الكهرباء ناجمة عن الربط العشوائي للكهرباء.

14-عطل محولات التوليد وعدم إصلاحها.

15-عدم وفاء الحكومة بالتزاماتها المالية الأخلاقية تجاه مؤسسة الكهرباء، فضلاً عن الصراعات السياسية المهوسة.

16-تعرض التوربينات والكابلات الكهربائية للتخريب دون أن تقوم المراجع المسؤولة بمعاقبة المتسببين.

17-تكسير أعمدة الكهرباء من قبل بلاطجة وجهات خبيثة لا تريد الخير للمواطنين.

18-عدم إنشاء مشاريع ومحطات كهربائية جديدة.

19-شراء الطاقة الكهربائية من الشركات الخاصة بمبالغ خيالية مرفوقة بصفقات فساد.

20-العمالة الفائضة في المؤسسة العامة للكهرباء وكثرة التعفنات والشلل والعصابات.

21-انعدام الضبط والربط وعدم معاقبة المخالفين.

ب- الماء:

الماء من ضروريات الحياة للشرب والنظافة والاغتسال، أكدت منظمة الصحة العالميــة أن 70 ٪ من المرافق الصحية في اليمن تفتقر للبُنية التحتية المناســبة للمياه والصرف الصحي (المشهد العربي، 2022: 1).

وفي إحصائية حول العلاقة بين شحة المياه والأمراض المنتشرة تبــين أن حــوالي 85 ٪ من الأمراض على علاقة بشــحة الماء وسوء النظافة (عدن الغد، 2018: 8).

لقد اســتقبلت عدن الماء من الحنفية عــام 1922 م، وتميزت خدمة الماء بالرقي والسلاسة والنظام والقانون واحترام لآدمية الإنسان، وعدم قطع المياه إلا لظروف قاهرة يتم الإعلان عنها في وســائل الإعلام ويكون الانقطاع لمدة وجيزة، حيث كانت حنفية الماء تعمل طوال النهار.

أما اليوم بعد أن توسعت خدمات المياه تنقطع المياه عن الأحياء السكنية لعدة أيام ولعدة شــهور بمنأى عن النظام والقانون، وزاد عدد المستهلكين للمياه في م/ عدن إلى 115 الف مستهلك وبلغ عدد العاملين في المؤسســة العامة للمياه 2065 موظف (الأيام، 2017: 8،7).

فانقطاع الماء يزداد بزيادة السكان والفوضى والفساد وزيادة: عدد المسلحين في مدينة عدن والذين يبلغ عددهم 50 ألف مسلح في مدينة مساحتها 750 كيلومتر مربع

(عدن الغد، 2017: 6).

انعدام الماء جلب القلق والأرق والهرم النفسي والمضض الروحي للمواطنين الذين يسهرون الليالي انتظاراً لمجي الماء، وآخرون يقبعون في بيوتهم ولا يذهبون للعمل أو الدراسة انتظاراً لقدوم الماء والذي قد يأتي ولا يأتي.

في مقابلة مع أحد العمال قلت له: لماذا تأخرت عن الدوام ؟ أجاب: سهرت طوال الليل منتظراً مجيء الماء وحتى الصباح ولم أتمكن من النوم.

ففي قصيدة للشاعر عبد العزيز المقالح عنوانها « أعلنت اليأس» يقول فيها:

هذا زمان للتعاسة

والكآبة

لم يترك الشيطان فيه

مساحة للضوء

أو وقتاً للتذكار والمحبة

والصبابة
أيامه مغبرة
ورياحه سوداء
تعصف بالرؤوس العاليات
وتزدري التاريخ
تهزأ بالكتابة
* * *
أنا ليس لي وطن
أفاخر باسمه
وأقول حين أرى
فليحيا الوطن
وطني هو الكلمات
وبعض من مرارات الشجن
باعوه للمستثمرين وللصوص
وللحروب
ومشيت على أشلائه
زُمر المناصب والمذاهب
والفتن

فمؤسسة المياه الخدمية حبلى بالمشاكل التي لا يتم حلها بل تتعمد الجهات المسؤولة إلى إطالة أمدها وتعميقها لكي تسوء أكثر ويطول عذاب المواطنين.

ومن مسببات أزمة تموين المياه:

1- الفساد المالي والإداري.

2- التضخم الوظيفي.

3- الخروج عن جادة النظام والقانون.

4- الضغوطات والاعتداءات المستمرة على الهيئة العامة للمياه والعمال من قبل متنفذي وشاذي الآفاق .

5- الحفر العشوائي في أحواض المياه المغذية لمدينة عدن والبالغ عددها 14 حوضاً مائياً.

6- السطو على معدات وآليات المؤسسة العامة للمياه والصرف الصحي.

7- البناء العشوائي فوق خطوط إمدادات المياه.

8- الصراع السياسي المدمر الذي يستخدم المياه كأداة لإذلال المواطنين ولتحقيق مكاسب سياسية.

9- الاعتماد الكلي على الهبات والمساعدات الخارجية وعدم وجود خطة وطنية فعلية لمعالجة أزمة المياه.

10- عدم دفع بعض المواطنين فواتير المياه وانعدام الدعم الحكومي.

11- كثرة الربط العشوائي للمياه من قبل المواطنين والهيئات الرسمية.

12- الاعتداءات المتكررة على خطوط أنابيب المياه من قبل جهات وجماعات مسلحة دون يطالها العقاب.

13- تقطير الماء للمواطنين وافتعال أزمات من قبل جهات متنفذة، وهناك أحياء لا يصلها الماء منذ 7 سنوات مثل: حي البوميس والعيدروس في كريتر، وحي الممداره في الشيخ عثمان...

14- عدم وجود مشاريع مستدامة لتنمية وتحسين خدمات الماء.

15- نهب وسرقة الموترات والبترول والديزل الخاص بتشغيل شبكة المياه.

16- عدم تسديد مرافق رسمية مهمة لفاتورة المياه مثل: مطار عدن الدولي، المنطقة الحرة، مصافي عدن...

17- الأعمال التخريبية المستمرة في حقول المياه التي تؤدي إلى انقطاعات امدادات المياه.

18- انقطاع التيار الكهربائي المستمر يعرقل امدادات الماء إلى المواطنين.

19- سوء إدارة توزيع المياه.

20- تركيب المواطنين لمضخات مياه عشوائية في الخطوط الرئيسية والفرعية للمياه.

21- ضعف المياه الواصلة من الحقول التي تغذي مدينة عدن.

22- عدم صيانة وإعادة تأهيل محطات الضخ وعدم اصلاح خطوط الضخ الهالكة.

23- الفساد الكبير في المؤسسة بدد رأسمال المؤسسة العامة للمياه حيث كانت تصل إيرادات المؤسسة إلى 2 مليار ريال يمني سنوياً.

24- تدار المؤسسة بضغوطات وعقليات سياسية ملوثة بمنأى عن الطابع الخدمي للمؤسسة.

25- فساد الصفقات مع القطاع التجاري والشركات وعدم الالتزام بالاتفاقيات في المشاريع الخاصة بالمؤسسة.

26- التبديل الدوري لقيادة المؤسســـة تبعاً للطقس السياسي، والابتعاد عن المهنية والشرف والأمانة.

27- بلغت مديونية المواطنين للمؤسســـة 8 مليار ريال يمني أما مديونية المنشآت الحكومية للمؤسسة بلغت 12 مليار يمني.

28- تحولت المؤسســـة من مؤسســـة غنية ترفد ميزانية الدولة بالأموال إلى مؤسسة فقيرة لا تستطيع دفع رواتب العمال بسبب الفساد والفوضى والعشوائية.

29- العبث بالمســـاعدات الدوليـــة وسرقة أموال المشـــاريع حيث تم سرقة 130 ألف دولار (قضية فساد المضخات وملحقاتها وعددها 35 مضخة)، وفســـاد آخر ب 300 ألف دولار.

30- احتراق المحولات مثلما حدث في يوليو 2018م عند احتراق المحول الخاص بحقل بئر أحمد (alayam.info /news).

31- خروج بعض خزانات المياه عن الخدمة بسبب عدم صيانة الخزانات.

32- الآبـــار العاملـــة 80 بئراً مـــن أصل 110 بئـــر مما فاقم أزمة المياه.

33- تعمل 80 ٪ من الطاقة الإنتاجية للمياه فقط .

جملة يمكن القول، أن مشكلة الكهرباء والماء مشكلة سياسية - إدارية في الأساس يراد لها أن تستمر بدون حلول لاستخدامها في الصراع السياسي ولكتم أنفاس المجتمع في خضم حرب الخدمات وزيادة حدة الأزمات بصورة ممنهجة لتكسير عزة المواطنين وتدويخهم وهدر روح الانتماء وآدمية الإنسان ولخلس جلدة الوطن الجريح وطمر الإنسان في المجتمع بكم هائل من الصدمات والنكبات والأزمات والسفه والتسفل.

ثالثاً: نظرية الصدمة:

تدمير الشعوب والدول والمجتمعات وخلخلة الانتظام العام ليست فسفوسة على طرف الفم، بل هي عملية جارية على قدم وساق تصافح أعيننا بمفرداتها اليومية لتكسر النمط السلوكي والحياتي وتزعزع الضوابط والتوازنات الاجتماعية بالقهر والسطوة والإخافة وانهاك المجتمع بالهزات المرعبة في بحر من الفساد والفوضى والفلتان والتهور والجور والجوع والاحترابات والمقاتلة في شبكة الحياة اليومية وفي طقس القهر وسياسة كسر الرقاب وآلات الحرب والكفاح، بحيث لا يهنأ المجتمع بالسكينة والرضوان ولا بالمأكل والمشرب والمسكن والمنكوح ولا بالقعود والمنام، فتفسد حياته النكبات والعلل والآفات والتمزق بنصال الخوف والرعب والمأساة.

فمصطلح إبادة المجتمع الذي وضعه كيت داوت Kate Dout، يقوم على أساس اشعال الكراهية وزيادة نسبة الكره والتطاحن الاجتماعي بحيث:

- لا يتم تدمير البيوت فحسب، بل هيبة المنزل أيضاً.
- لا يتم قتل النســاء والأطفال فحسب، بل المدينة بطقوسها ومناهج حياتها.
- لا يتــم مهاجمة مجموعــة من الناس فحســب، بل تاريخها وذاكرتها الجماعية.
- لا يتم هدم النظام الاجتماعي فحســب، بل أيضاً المجتمع نفسه.

يسمى العنف في الحالة الأولى إبادة المنزل، وفي الثانية إبادة المدينة، وفي الثالثة الإبادة الجماعية (.http: / /www.ammonnews net news).

في خمســينات القرن العشرين عالم النفس الاسكتلندي دونالد كامــيرون Donald Cameron (1901 – 1967) ، صاغ نظرية الصدمة والتي كان على رأس اهتمامها اجتثاث الإنســان القديم وخلق إنسان جديد يختلف عن الإنسان القديم بأفكاره

ونظراتــه وقناعاته وعواطفه واحساســاته، مــن خلال إلغاء ذكريات الماضي، وإحساســات ومدركات الحاضر، وتكوين إنســان جديد بأفكاره واحاسيســه وادراكاته وخالياً من لوثة الماضي، وتشــابكات الحاضر، بحيث يكون شــبيه بالصفحة البيضاء التي يمكن أن نكتب عليها ما نريد.

ومن أجل نجاح هــذه المهمة قام بتطبيــق نظرية الصدمة على مرضاه وباســتخدام الصدمات الكهربائيــة الكبرى وحبوب الهلوسة، لخلق الإنسان الجديد وإلغاء الإنسان القديم، ومارس على مرضاه تجارب عدة قاســية للغاية مــن أجل الوصول إلى غايته المنشــودة ووضع مرضاه في عتمة دامسة منعزلة وصمت رهيب، وانعــزال تام عن المحيــط الاجتماعي حتــى يفقدوا الإحســاس بالواقع ويدلفون في عالم جديــد غير العالم القديم ويتم غسل أدمغتهم ومسخ ذاكرتهم:

أعتقد كاميرون، أن الطريقة الوحيدة لتلقين مرضاه سلوكيات جديــدة صحية، تمثلت بالدخــول إلى عقولهم و «كسر الأنماط الســلوكية المرضية القديمة». كمنت الخطوة الأولى في العملية « كسر النمط السلوكي»، الذي كان هدفه مثيراً للدهشة:

إعادة الذهن للمرحلة الأولى التي كان فيها، أي بحسب نظرية أرسطو « إلى لوح أملس لم يدون عليه شيء بعد ، أي إلى صفحة

بيضاء. أعتقد كاميرون إنه يستطيع بلوغ تلك الحالة من خلال مهاجمة الدماغ دفعة واحدة بكل الوسـائل المعروفة بغية العبث في وظيفته الطبيعية. كانت تلك حرباً من « الصدم والترهيب» تشن على الدماغ (كلاين، 2011: 50).

ولعله من الضروري القول أن نظرية الصدمة استخدمها أيضاً عالم الاقتصاد الأمريكي ميلتون فريد مان Milton Friedman (1912- 2006) في سـبعينات القـرن العشريـن في الحقل الاقتصادي لإذلال الشـعوب وزعزعة كيانها ب: عُسر الحياة الاقتصادية، رفع الأسـعار، نـشر الفاقة والجوع والتسـول، زيادة عدد العاطلين عن العمل، تدمير المؤسسـات الاقتصادية العموميـة، إحلال الـشركات العابـرة للقـارات محل هذه المؤسسـات، وتسـاوق مع الأزمات الاقتصادية عنف وقتل ورعب وإرهاب واعتقـالات واختطافات واغتيالات، تعميم الفسـاد والفوضى، تحطيم المؤسسـات ، تعتيم الـرأي العام، وجعل الناس يسيرون بلا هدى ولا وعي ولا بصيرة من كثرة الصدمات، فيستسـلمون للواقع وللنهج الاقتصادي الجديد ولفتح السوق للشركات العابرة للقارات، وطبقت هذه النظرية الاقتصادية في تشيلي 1973، ثم في بلدان أخرى ومنها العراق.

غاية نظرية الصدمة اخضاع المجتمع والأفراد والجماعات الاجتماعية للصدمات والانهيارات الكبرى والأزمات العاصفة وشل تفكيرهم بحيث لا يتمكنون من استخدام عقولهم، ويكون عاجزين عن فهم ما يحدث في غميس الواقع من شدة الصدمات وكثرتها وتنوع عناوينها، مما يؤدي في نهاية المطاف إلى العجز والاستسلام وعدم مقاومة الخطط والمشاريع التدميرية والتوجهات الرعناء لأهل القوة والهيمنة الذين كسروا إرادة الأفراد والجماعات وأخضعوا المجتمع بأفانين الشر والبلطجة وبكوابيس تخنق الأنفاس وبتظليل فكري وشعارات حادة وصارخة.

نظرية الصدمة: تصنع الكارثة الأصلية - سواء كان انقلاباً أم هجوماً ارهابياً، أم انهياراً للسوق أم حرباً، أم تسونامي، أم إعصاراً - جميع السكان في حالة من الصدمة الجماعية. وتستخدم القنابل المتساقطة والعنف المتفجر والرياح العاتية، كلها، لتطويع مجمل المجتمعات، تماماً كما تطوع الموسيقى الصاخبة والضربات، السجناء في زنزانة التعذيب. وعلى غرار السجناء المرعوبين الذين يكشفون عن أسماء رفاقهم وينكرون لدينهم ومعتقداتهم، كذلك تقوم المجتمعات المصدومة بالتنازل عن أمور دافعت عنها بشراسة في أوضاع مغايرة (كلاين،: 31).

فما يحدث لدينا في إيقاع حياتنا اليومية لا يخرج عن نطاق نظرية الصدمة.

رابعاً: تغير مفردات الحياة اليومية:

يتعرض المواطن لصدمات يومية رهيبة وانهيارات كبرى متساوقة مع الحرب وانهيار مؤسسات الدولة وتحطم مقومات العيش الكريم وانعدام المعايش وتفشي الفقر والمجاعة وعُسر الحياة اليومية وذوبان الطبقة الوسطى والتحاقها بقطار الطبقات الضعيفة المهمشة وحرب الخدمات وقطع التيار الكهربائي والماء وتوطين الفوضى واقلاق السكينة العامة واهمال النظافة وتفجير مجاري الصرف الصحي وتشجيع حمل السلاح والاقتتال في الشوارع وتعميم الفساد وافتعال أزمات المشتقات النفطية والغاز المنزلي وردم البحر والبسط العشوائي على المتنفسات والحدائق والشواطئ والبناء فوق مقابر الموتى وفوق كيبلات الكهرباء وأنابيب الماء وخدمات الصرف الصحي واستباحة الممتلكات العامة والخاصة وفرض الضرائب على الباعة والمواطنين بدون وجه حق وتشجيع التشدد المذهبي والطائفي والعقائدي والقبلي والعشائري والتكفير والعنف والإرهاب والاغتشاش والاغتيالات والاختطافات وتوطين ثقافة النهب والكراهية والعنف وثقافة ازدراء المرأة والفئات الضعيفة في المجتمع.

وفي خضم الصدمات الهائلـــة والرعب المزلزل يتم تدمير حياة الإنســـان والمجتمعات وتحويـــل البشر إلى حيوانات عاشـــبة ولاحمـــة، تأكل وتـــشرب وتنـــام وتتحرك بالأوامـــر لا تفكر ولا تجتهد ولا تطمح إلا في المأكل والمشرب والمنكوح.

لقد تم تهشيم المجتمع بصدمات هائلة وبأزمات يومية ممنهجة وطاحنة حيث يقول الدكتور سامي الرشيد أنه تم:

تدمـــير التضامـــن، الهويـــة، العائلـــة، المؤسســـات الاجتماعية، وعي الذات، لكي يصبح الارتياب وسوء النية التوجهين السائدين لدى الناس (https: / /www.ammonn news.net).

في مجتمعاتنا الهشـــة كهشاشـــة بيت العنكبوت يقف في غميس هذه المجتمعات الإنســـان المقهور الذي مسته البأساء والضراء وضربته الصدمات والعواصف الهوجاء في صميم حياته.

الإنســـان المقهور تفترســـه الكورونـــا والملاريـــا والمكرفس (شـــيكونغونيا-chikungunya) والأمـــــــراض الوبائيـــة والبعوضيـــات والحـــشرات والجراثيم والقـــوارض، وتطرده المشافي والمجمعات الصحية وتشـــوي جسمه حرارة الشمس اللهبة وغلاء الأسعار:

التي ارتفعت بنســبة 302 ٪ ما بين عــام 2016–2021 م وفقدت العملة المحلية قيمتها بنسبة 200 ٪ في مناطق سيطرت الشرعية (الأيام، 2021: 1).

الإنســان المقهور بــلا مهاجع دفاعية تنهش جســده الكلاب والأفراس وتقتله الحرب الطاحنة والصدمات اليومية وهمجية العقليات المتكلسة القادمة من قلب العتمة والجهل والتخلف.

الإنسان يتعرض لسلسة طويلة من العذابات والألام والمضض الروحي التي تهــدف إلى قمعه واخراس صوتــه وتغيير نمط حياتــه وهتك قيمــه وكيانه وثقافته وتكســير صواميل لحمته الوطنية والاجتماعية وجعله إنســاناً خاضعاً للطغاة والسراق والســفلة، وتكون حياته مغموسة بالاحترابات والانقسامات والتشرذمات والصراعات وتقســيم أفراد المجتمع إلى طوائف وعشائر وقبائل ومليشــيات متناحرة ومتدابرة ومتقاطعة لكي تتمكــن الأيادي الشريــرة من جرف ثروتــه وتقطيع أوصال جغرافيته وطمس هويته.

يريدون للإنســان أن يدفن حياً في مراقد الموتى لكي تترســخ أقدام الفوضى والفســاد والخراب والصدمات في فضاء عقيم وغوغائي تحركه المصالح والأهواء المتضاربة.

يريدون للإنسان أن يغرق في بحر الظلمات والغيبوبة الفكرية وأن يكون غيرقادر على القياس العقلي والمنطقي ومتقوقعاً تحت مظلة الضعف والخمول والأمراض والأوهام والخرافات يعيش حياة مضطربة زادة الجبن والخنوع والترهل.

فثمة تقنيات واستراتيجيات تستخدم من قبل القوى المهيمنة للتحكم في الشعوب بسطها المفكر الأمريكي نعوم تشومسكي Noam Chomsky (https: / /maktaba.amma.com) وهي:

1- **استراتيجية الإلهاء**: لمنع العامة من الاهتمام بالمعارف الضرورية.

2- **استراتيجية ابتكار المشاكل وتقديم الحلول**: ابتكار أزمة مالية حتى يتم تقبل التراجع على مستوى الحقوق الاجتماعية وتردي الخدمات العمومية كاشر لابد منه.

3- **استراتيجية التدرج**: خلق الأزمات والاشكاليات والصدمات بشكل متدرج مثل: بطالة شاملة، هشاشة، مرونة، تعاقد خارجي، راتب لا يضمن العيش الكريم.

4- **استراتيجية المؤجل**: من أجل اكساب القرارات المكروهة القبول بكسب موافقة الشعب في الحاضر على تطبيق شيء ما في المستقبل.

5- مخاطبــة الشــعب كمجموعــة أطفال: حيث تســتخدم الإعلانات والخطابات بنبرة ذات طابع طفولي.

6- اســتثارة العاطفة بدل الفكر: لتعطيــل التحليل المنطقي والحس النقدي للأفراد.

7- إبقاء الشــعب في حالة جهل وحماقة: بحيث يقدم تعليم رديء للطبقات السفلى والفقيرة.

8- تشجيع الشعب على استحسان الرداءة: وإقناع الشعب أنه من الرائع أن يكون غبياً وهمجياً وجاهلاً.

9- تعويض التمرد بالحساس بالذنب: وجعل الفرد يضن أنه المسؤول الوحيد عن تعاسته.

10- معرفة الأفراد من قبل النظام أكثر من ما يعرفون أنفسهم.

الصدمــات المتتالية والممنهجة غيرت مفردات الحياة اليومية في الفضاء العمومي، وسنستعرض بعض مفردات التغير الحياتي:

1- نظام العمل:

الأيادي القذرة حطمت الإنســان وجعلته يعيش في مســتنقع اليأس والتخبط والضياع، إنها تشــجع على التفلت والفوضى والفساد والغش وعدم الانضباط وتضرب الإنسان في الصميم

لتغيير نمط حياته من نمط العمـــل والانتاج والحيوية الى نمط العزلة والعجز والكسل والاغتراب والنوم وعدم التكيف مع العمل الوظيفي وتخريب الضمير المهني.

إن الكســـل والترهل، وغياب المســـؤولية والمحاسبة، تولد سيلاً من التخلخلات والإنكســـارات في المجتمعـــات، وتقتل الحوافز والدوافع للعمل المثمر، وتسقط أخلاقيات العمل في هوة سحيقة.

فالعمل غير المســـئول يقود الأمم إلى الرتابة والانهيار و الترمد في متحف التاريـــخ. فلا يمكن لأي حضارة أن تســـتقيم على قدميها بدون العمـــل الخلاق والمبدع، وبدون الضمير الجمعي المتيقظ والإرادة المحنكة، والتنظيم الشـــفاف العقلاني للعمل. فهناك بون شاســـع بين العمل الدافع للأمة إلى الأمام، والعمل المحبط المعـــوق لحركة وديمومة المجتمـــع بحيث يصبح عقبة كأداء أمـــام التحضر وعلامـــة على النكوص، بـــما يتخلله من عوائق وبيروقراطية وأشواك تدمي أقدام الناس وتأكل قلوبهم ومشـــاعرهم وأوقاتهم في المتابعات المملة المندية للجبين، التي فيها يفقد الإنســـان آدميته، ويتحول إلى وضيع يلعق المرارات عنـــد بوابات الموظفـــين والكتبة، المولعين بالتهكم والســـادية الجبانة. الناس لا يشكون فقط من المعاملات غير المحتشمة من

قبل رهط من الموظفين، وإنما يشـكون أيضاً من قصر ساعات العمل الفعلية فالمسألة ليست في طول أو قصر يوم العمل، وإنما في جدية العمل ونوعيته ونسبة الإنجاز للأعمال.

فسـاعات العمل كانت عـلى أجندة أعمال نزر مـن المفكرين الطوباويين (الخياليين):

فالمفكـر الإنجليـزي تومـاس مور Thomas More (1478– 1535)، كان يؤكد على إلزامية العمل لكل مواطن راشـد وقادر على العمل، بحيث تكون ساعات العمل اليومية 6 سـاعات، أما بقية الوقت فيصرفه الناس في مزاولة الرياضة وتنمية المواهب العلمية والعملية والطمأنينة والراحة النفسـية والجسدية حسب ما أوضحه في (اليوتوبيا).

وروبـرت اويـن Robert Owen (1771 –1858) ، ألزم العمال في ممتلكاته الصناعية على العمل عشر سـاعات ونصف السـاعة بدلاً من أربع عشر سـاعة، وأقترح تعميم سـاعات العمل هذه على المرافق الصناعية كافة في إنجلترا وخارجها.

والمفكر الإيطـالي توماس كمبانيلا Thomas Campanella (1568 – 1639) في (مدينة الشمس)، حدد ساعات العمل ب4 ساعات يومية.

والمفكر الإنجليـزي جودفين Godvin ولد (1756)، اقترح أن يعمل الناس نصف ساعة يومياً، بدون مسئولين عن العمل، وأكد على راحـة أفراد المجتمـع وعلى ضرورة نـشر التعليم كأساس لانطلاق المجتمع.

أمـا المفكـر الفرنسـي إيتيـن كابيا Eten Kabia (1788 – 1856)، فقـد رأى مـن وجهة نظـره في (رحلة إيكاري)، أن يكون العمل في مجتمعه المقترح سـبع سـاعات يومياً ما عدا فصل الشتاء تخفض إلى ست ساعات.

أما المفكـر بولالافـارج Paula Lafarge، فاقترح أن تكون ساعات الدوام الرسمي ثلاث ساعات يومية، ليصرف العامل بقية وقته في الراحة والاستجمام والاسـتمتاع بمفاتن الطبيعة ولذائذ الحياة، وأكد على حق العامل في (الكسل).

وعلى سياق متصل أضحت الأنظمة التي نعيش في كنفها عاملا محوريا للإحباط والتقهقر والأذى، عاملا معرقلا للنماء والعمل، تعمل ليل نهار لكبح جماح التقدم وتلغيم المجتمع بأزمات خانقة لخنق المواطن البسيط بحيث لا يقوى على التفكير ولا يستطيع الوقوف على قدميه ويكون غارقا من رأسه حتى أخمص قدميه بالمشاكل والمشاغل اليومية التي تصنعها الزمر الفاسدة المتفرغة في جرف الثروات وتوسيع شرايين الفساد.

لقد أصبح النـــاس لا يعملـــون غارقون في مشـــاكل الكهرباء والماء والبـــترول والديزل والغاز المنزلي، مشـــغولون بالرواتب ومنجرفون صوب الصراعات والانقسامات الشطرية والطائفية والمذهبية،منكوبـــون بداء الفاقة والجهـــل و بالأمراض والعلل والمضض الروحي، مشـــغولون بالقمامـــات و حرب الخدمات وتردي الأوضاع والانهيارات النفســـية والقيمية وشيوع ظاهرة تعاطي المخدرات وازدياد أعـــداد العاطلين عن العمل وانعدام المعايـــش وتفـــشي ظاهرة ما يســـمى في علم الاجتـــماع «الجيل الضائع»، وفي ظل الانهيار الأمني والمعيشي والتعليمي والصحي والأخلاقي صـــارت البيئة التـــي نعيش فيهـــا حاضنة للعنف والإرهاب والانحرافات والفساد المادي والمعنوي.

إنهم يدفعون الشـــعب صوب الكســـل والترهل والجهل والعتمة والتشوش وعدم احترام العمل، يدفعونه صوب الفساد والكراهية والعنف والتدابر والتباغض والسقوط في فخ اللامبالاة.

فالتغـــيرات التـــي حدثـــت في مجـــال العمـــل نبتسرهـــا على النحو التالي:

- قلة الرواتب التي يتحصل عليها العمال والموظفين.

- عدم حضور بعض العمال والموظفين للعمل والحضور المتأخر لأغلب العاملين.

- الحضور إلى مواقع العمل والإنتاج لعدة ساعات ومن ثم الانصراف.

- الفوضى والفساد والتسيب الإداري والانحدار الأخلاقي.

- الخروج من مرافق العمل للتسوق والزيارات وقضاء بعض الحاجات.

- الاحجام عن تصريف أعمال الناس إلا بالرشوة.

- عدم الامتثال للأنظمة والقوانين ولوائح العمل وغياب منظومة الضبط الوظيفي.

- بزوغ تكتلات وشلل وعصابات في مرافق العمل للنهب واللصوصية والاغتشاش.

- البيروقراطية والتعقيدات الإدارية المتعمدة.

- أبواب المرافق مفتوحة للمتسولين والشحاذين وللبيع والشراء وترويج البضائع والأغذية.

- تضييع وقت العمل في الأحاديث الجانبية والثرثرة والفطور وشرب الشاي.

ولقد قال عالم الاجتماع الألماني ماكس فيبر Max waber:

من أجل الراحة الدائمة في العالم الآخر لابد على الإنسـان أن يـؤدي واجبه في العمـل، وإضاعة الوقـت خطيئة كبرى من خلال العلاقـات الاجتماعية والحديث التافه والرفاهية والنوم الزائد.. يستحق إدانة أخلاقية (فيبر، د. ت: 135).

2- النوم:

النوم مفردة يومية طبيعية وحق من حقوق الإنسان والحيوان، هـذا الحـق الطبيعي أصبـح صعـب المنال بسـبب المتاعب والارهاقات التي يتعرض لها الإنسـان بشـكل يومي وتعدد أوجه الصدمات والأزمات:

الموضوع الذي يعنينـا في هذا المقام هو هدر الإنسـان تحديداً بمعنـى التنكر لإنسـانيته وعدم الاعـتراف بقيمته وحصانته وكيانه وحقوقه (حجازي:27).

فهذا الإنسان يعيش في قلق دائم وفي حرب مستمرة دون توقف يخرج من مشكلة ويدخل في مشكلة أخرى، ويتم توفير الماء له ويقطعون عليه الكهربـاء، تتوفر الكهرباء فينعدم الغاز المنزلي، يحل مشـكلة الغاز المنزلي، فيدخل في مشكلة الارتفاع الجنوني

للأسـعار وتكاليف الحيـاة، وفي عين الوقت تداهمه مشـاكل انقطاع التلفون والنت وتوقف المواصلات:

لا يوجـد دعم، أيـاً كان وزنه يمكنه أن يحميـك من عذابات الحياة اليومية التي تتطلب احتكاكاً على مسـتوى التفاصيل - مع التافهين وضيقـي الأفق. كل اتصال اجتماعي، كل اجتماع، كل معاملة رسمية، كل مشوار للسوق، بل كل توقف قصير في إشارات المرور، سوف يحمل معه تحدياً حقيقياً (دونو: 66).

الإنسـان بوجه عـام يحتاج إلى ثمان سـاعات نـوم، وعندما تضطرب أوقات النوم لا يستطيع الإنسان أن ينام نوماً طبيعياً، أو ينام لمدة ساعتين أو ثلاث بسبب انتظاره لمجيء الماء أو بسبب انقطاع الكهرباء فإن ذلك يجلب له المتاعب النفسية والجسدية، يشير علماء النفس أنه:

اذا كنـا وبشـكل منتظم ننام سـاعات قليلـة في الليل فذلك سيعكس بنفسه علينا وسيقل التركيز لدينا وسنبدأ المعاناة.

هذا يقلـل من فعالياتنا في عملنا ويزيد الاجهاد، نبدأ بارتكاب الأخطاء، والطاقة تبدأ بالتراجع والهبوط ونصبح أقل نشـاط فيما ننجز، وتقل نسبة تحملنا وسيطرتنا على الأحداث ومجرياتها، وهذا يؤشر عـلى أن هذا الوضع السيء أثر على طاقتنا وحيوتنا (جراى، د.ت: 202).

إننا لا نحلم بحياة فاخرة، لا نحلم بالوزارة ولا بالرئاسة ولا بمواقع القوة والنفوذ، لا نحلم بالقصور والأموال الطائلة ولا بالمركبات الفارهة ولا بالذهب والفضة والألماس وتكديس الثروات. نحلم بحلم متواضع جداً «بنوم هادئ وطبيعي»، فهذا الحلم حق لكل البشر والحيوانات العاشبة واللاحمة.

لا زلنا نعيش حياة زميتة وأوضاعاً زئبقية متحركة تديرها عقول متآمرة، عقول معطوبة ومتكلسة دمرت البلاد والعباد بنرجسية مذمومة فاقت كل التصورات،فلا زال أمراء الفساد يتربعون فوق عروشنا ويعبثون بخيراتنا ويضحكون على عقولنا ويبتكرون وجوهاً ومسرحيات للتنكر والمراوغة ويتسربلون بسرابيل الوطنية، ويتفننون في التسافل وصنع الخراب والسادية والنهب وإشعال نيران الكراهية والحقد والتعصب لإلهاء الشارع بصراعات جانبية تتيح لهم فرصة عظيمة في امتصاص الثروات وتزييف الوعي وقلب الحقائق ومحو الذاكرة الجمعية.

إننا في البرهة الراهنة نعيش أياماً كالحة وحزينة تأكلنا الحرب وتمتص دماءنا الفوضى وتشوي جلودنا حرارة الصيف اللاهبة والتي يزداد سعيرها مع انقطاعات التيار الكهربائي لساعات طويلة وعدم الحصول على قطرة ماء نظيفة نشرب منها وتبلل

أجســادنا المنهكة التي طحنتها الأوضــاع التراجيدية وجعلتنا نعيش بغير هدى. مسلسل الكهرباء والماء مسلسل عجيب تعاد حلقاته سنوياً في الصيف وتديره عقول مهووسة بالسادية أدمنت التآمر على هذا الشعب المسكين الذي تئن حياته بلحن حزين في ظل انعدام مؤسســات الدولة وهيئــات الضبط وبيوت العدل التي كان لا بد لها من ضبط شــاذي الآفاق الذين يبنون مجدهم على حســاب الشــعب ونماء المجتمع وراحــة وصحة المواطن العادي المهموم الذي تفترسه الأمراض والهموم اليومية.

لقد اســتولى الســفهاء والبلاطجة ومصاصي دماء الشعب على كل شيء... اســتولوا على الأراضي والبحار والجبال والثروات والكراسي والمناصــب وخطفوا من أفواه البســطاء الخبز والماء والهواء والدواء وينهبون المليارات دون حسيب أو رقيب يعجزن عن حل مشــكلة الكهرباء والماء والخدمــات التي تركت عائمة للمســاومة والارتــزاق والابتزاز وكأنها مشــكلة عويصة الحل تحتاج إلى عباقرة وعقول من طراز جديد لفك شفرتها المعقدة.

إنهم يستكثرون علينا أن ننام بهدوء ونحافظ على لياقتنا وتوازننا النفسي والعاطفي والعقلي والجســدي. نعيــش حياة مدبوغة بالقهــر والخوف والجــوع والظمأ والمكر والقســوة والخداع،

نعيش حياة مترعة بالمقاذر والأطمار والأمراض والحشرات والضجيج والحرب والدم المسفوح والموت والرصاص والدخان وعربدات السياسة والعدوان الفج على الإرادة الشعبية في سياق عام مضطرب أختلط فيه الحابل بالنابل وغاب فيه صوت الحق والفضيلة في ظلام مطلسم.

في هذه الأجواء المكفهرة والعابسة تضخ جهات خبيثة جرعات مركزة من ثقافة التحريض والكراهية والشحن العاطفي المذموم والتصنيف العرقي والمذهبي والفئوي الذي يؤجج الهياج الاجتماعي والقلق والاضطراب الفكري والوجداني بصيغ ماكرة وملتبسة تؤدي إلى ممارسات غير محمودة تصب في خانة السراق والنهابين وصانعي الخراب والفساد لإطالة أمد الحرب والمأزق السياسي والاقتصادي والحياتي في الفضاء العمومي وتدويخ الشعب بمشاكل وإحترابات وعراكات لا نهاية لها سوى العودة مرة أخرى إلى المربع الأول: الدكتاتورية والظلم والهيمنة والتسيد والجهل والغباوة والعماية والدوس على أعناق البشر واللعب بآدمية الإنسان، لقد قال أحد المناضلين الشجعان: (إن مقاومة الظلم لا يحددها الانتماء لدين أو عرق أو مذهب، بل يحددها طبيعة النفس البشرية التي تأبى الاستعباد وتسعى للحرية).

لقد اضطربت سـلوكيات الناس وتفاقم الشعور بعدم الأمان المادي والروحي مما جعل الإنسـان يعيش في دوامة من القلق والاكتئاب والأرق واضطرابات النوم:

والأحلام المزعجة والكابوس، واضطرابات المظهر العام مثل النمط الجسـمي الزائد النحافة أو البدانـة الزائدة، وتعبيرات الوجـه الحزين أو اللا معـبر وحالة الملابس الرثـة أو المهملة أو غـير المتناسـقة أو الزاهيـة المتبرجة وحالة الشـعر اللافتة والوضع الشـاذ واضطرابـات الفهم واضطرابـات البصيرة (زهران، 2003: 476).

لقـد حدث تغير كبير في حياة الناس حيث أصح السـهر وقلة النوم عنوان بارز في حياتهم، فهناك من يسهرون بأ نتظار مجيء الماء لتملئة الخزانـات والأواني المنزلية، وهناك من ينتظر مجيء التيـار الكهربائي لينام في أجواء شـديدة الحـرارة والرطوبة، وثمة من يقتلهم الأرق والتوتر ولا يسـتطيعوا النوم من كثرة الصدمـات والهموم والمشـاكل، وهناك من يسـهرون لمضغ القات حتى الفجر، وحتى الأطفال وصغار السـن انضموا إلى عترة السـهرانين حيث يظلون طوال الليل يلعبون وينتظرون مجيء الماء والكهرباء أو لا يسـتطيعون النوم من شدة الفوضى

والضوضاء والتلوث السمعي والبصري مما يؤثر على صحتهم ومستواهم العلمي والمعرفي ويصعب عليهم الذهاب إلى المدرسة صباحاً، كما يصعب على الكبار الذهاب إلى مواقع العمل والإنتاج.

فالنوم كما تشير نهير عبد النبي - سلطان - واساساً من أساسيات الحياة اليومية، ولا بد للإنسان أن ينام 6-8 ساعات في اليوم حتى يستطيع أن يستعيد نشاطه وقوته.

يشير الأطباء المختصون، أن أضرار القلة النوم والسهر كثيرة تؤدي إلى أمراض القلب والشبكة الدماغية، وتعرض الإنسان لمرض السكر وقد تؤدي إلى السمنة وتراكم الدهون، وضغط الدم المرتفع، وضعف الجهاز المناعي، ومشاكل في التنفس والصداع والارهاق البدني والذهني والضغوط النفسية والاكتئاب . (m.youm7.com)

جـ - التعليم:

التعليم يشكل عقل وهوية الأمة وينشر الضياء في الفضاء الفسيح ويفتق الأذهان ويأخذ بيد المجتمع صوب النماء والتمدن ويغرس شتلات العلم والمعرفة ويصنع الحضارة والأجيال المتبصرة.

إذا أردت أن تدمر أي شعب من الشعوب فاهدم صرح الثقافة والتربية والتعليم وبدد إمكانيات المؤسسات التربوية والثقافية والتعليمية وعلى رأسها الرأسمال البشري، حينها تضرب الأمة في صميم مستقبلها:

في ظل التسابق المادي تنازلت مؤسسات التنشئة الاجتماعية عن دورها، فتنازلت الأسرة عن دورها الأساسي ووظيفتها في غرس المنظومة الأخلاقية والقيمية في نفوس النشئ وأصبحت المؤسسات التعليمية مرتعاً لتأكيد القيم المادية والكسب السريع والتخلي عن المبادئ والضمير (https: / /misralbalad.com).

لقد تقهقرت مؤسسات الثقافة والتربية التعليم وأصبحت شكلية وهلامية لا تقوى الوقوف على قدميها، وانهيار التربية والتعليم جاء متساوقاً مع انهيار مؤسسات الدولة واكتساح الفساد والفوضى لكل الأسوار.

في سوسيولوجيا الحياة اليومية تم افساد التعليم والمدرسة بطريقة غير بريئة الهدف منها تحطيم صواميل المجتمع والعبث بمستقبل الأجيال وتغييب الوعي وجعله حبيساً للشكليات والترهات.

فالتعليم السليم يؤدي إلى تغير اجتماعي وحياتي أمثل ويؤدي إلى نهضة الشعوب.

لقد تم تهديم المدرسة وهياكل التربية والتعليم بمناهج رتيبة ومكثفة تركز على الحفظ والتلقين ولا تركز على الفهم وترقية العقل وتم رفد المدرسة والمؤسسات التعليمية برأسمال بشري غير مؤهل بمنأى عن الكفاءة والتكوين العلمي والمهني السليم، فضلاً عن النقص الحاد في المعلمين والمباني والكتب والتجهيزات المدرسية المادية وكثافة الطلاب في الصفوف الدراسية.

وأرهق المدرسة والمؤسسات التعليمية الفساد الإداري والمالي والفساد الأخلاقي وتراجع الدور التعليمي والتربوي والأخلاقي للمدرسة وسقوط هيبة المعلم الذي يتعرض للضرب والتحقير والازدراء من قبل الطلاب، حيث يعيش المعلم أوضاعاً حياتية قاسية ويتحصل على راتب حقير لا يفي بالمتطلبات المعيشية.

أما الملفت للنظر، اختصار الفصل الدراسي إلى شهرين بدلاً من أربعة أشهر وتفشي ظاهرة المعلم البديل التي ضربت صميم التربية والتعليم من زاوية تعليمية وأخلاقية وشوشت حقل التربية والتعليم وجعلته عرضة للتفلت والتهويش وسوء الأداء المرفوق بتلاوين من المفاسد والغوغائية.

لقد تحولت بعـــض المدارس إلى أســـواق لبيع الملابـــس والمواد الاستهلاكية والبخور والفل والأطعمة ومساحيق التجميل.... وكفت المدارس عن تفشـــيل الراســـبين والبلداء، فالكل ناجح، ويتم نقل الفاشلين ببرود أعصاب إلى المستويات الدراسية العليا.

لقد ضعف دور المدرســـة والمعلمين وضعفـــت دافعية العطاء لأســـباب جمة أبرزها: هدر حقوق المعلمـــين وميوعة الفضاء التربوي والتعليمي.

تتعرض المدارس اليوم للنهب والسرقات والسطو على صفوفها والبسط على مساحاتها وجدرانها من قبل شاذي الآفاق، فضلاً عن تراكم القاذورات في الصفوف والساحات وانعدام النظافة في الحمامات.

وليس غريبـــاً أن نجد اليوم في المدارس طـــلاب وطالبات قد تأثروا بالأخـــلاق الذميمة التـــي تمارس في المدرســـة والبيئة الاجتماعية، لقد تفشت ظاهرة:

الكذب، تعاطي الشـــمة، السرقة، التمايـــز الاجتماعي، ضرب المعلمين والمعلمات، الهروب من المدرسة، التمارض، الخرافات والخزعبلات، المس والجن والشـــياطين، واصبح الغش علامة بارزة في الامتحانات.

وحتى لا تصبح حياتنا هشة كهشاشة بيت العنكبوت، لا بد من الاعتناء بالناشئة وعدم تمكينهم من الغش والكذب والاحتيال، وتمرينهم على القراءة والكتابة والمذاكرة والكدح والمثابرة والتفكير والجرأة المحتشمة والاستقامة.

لقد صارت الامتحانات بالنسبة لبعض الطلاب والتلاميذ فسحة للتسلية والتشويق، فهم لا يخافون من المراقبين، ولا من الأسئلة، ولا من المناخات العامة للامتحانات، ولا يرهبون أي شيء، فالأمر سيان بالنسبة لهم، فقد يستخدمون البراشيم، وقد يستأجرون أصحاب أنفس ضعيفة لإيصال أجوبة الأسئلة إليهم بهدوء وهم في قاعات الامتحان، وقد يشترون ضمائر بعض المراقبين، وتصل الجسارة في بعض الأحيان إلى مضايقة الأذكياء وعدم تمكينهم من حل الأسئلة بهدوء وسكينة، حيث يتم مشاغلتهم بحل الأسئلة لبعض البلداء، مما يؤثر على الأذكياء وقد يدفعهم الجو العام إلى الإقلاع عن المذاكرة والاجتهاد والدخول في دائرة الغش والاحتيال المريح.

لقد تصاعدت ظاهرة الغش في الامتحانات وتلقى دعماً مادياً ومعنوياً من بعض الآباء الذين يقدمون المستحيل لنجاح أبنائهم بطرق غير شريفة. ولقد تعرض بعض المراقبين من

أصحاب الضمائر النظيفة للاعتداءات من قبل الطلاب وذاقوا صنوفاً من الإيذاء النفسي والجسدي والتهديدات المرعبة، لأنهم لا يتهادنون مع أباطيل وغوغائية الغشاشين.

يظن بعض الناشئة أن الغش لون من ألوان الذكاء الاجتماعي، وبدون ذلك لا تستقيم الحياة، فهم يستمدون زادهم من الغش الاجتماعي المنتشر في أنسجة المجتمع، ويميل فصيل منهم للاعتقاد بأن الاستقامة ونقاء الضمير في هذا الزمن غير مفيدين، ولا يمكن للخيرين أن يجدوا موطئ قدم في وضع حياتي موبوء بالأمراض و العلل، فأقرب وسيلة للنجاح هو الغش.

فالمعلم الذي ينمي روح الغش والتحذلق لدى تلامذته، قد لا يعرف أنه يؤسس مدماكاً للانهيار الاجتماعي والقيمي والديني في المجتمع، ويضخ فيه دماء فاسدة تقف حياتها على مسلك الغش والفهلوة، ويدمر المجتمع بدم بارد قد لا تظهر نتائجه في المدى المنظور.

ولذلك لا غرابة، أن نرى في المجتمع بعض أصحاب شهادات ممن أقيمت لهم ولائم التكريم والجوائز، يفتقرون للمهارة التخصصية والمهنية والعلمية والمعرفية، فهناك أنصاف موظفين، وأنصاف مثقفين، وأنصاف محاسبين،

وأنصاف مدرسين، وأنصاف مهندسين، وأنصاف أطباء، وأنصاف قضاة، وأنصاف محامين، وأنصاف ضباط، وأنصاف باحثين وإداريين.

وبطرق الغش تهدر طاقة المجتمع المادية والمعنوية، ونظل نراوح في أماكننا، لا ننتج ولا نبتكر، بل نستهلك، ننتظر ما سيصل إلينا من عطاءات... إننا مجتمع مستهلك، نستهلك كل شيء، ونميت كل بارقة أمل للنهوض من كبوتنا، ولا نمكن المبدعين والخيرين من العمل الجاد الذي يدفع بعجلة المجتمع إلى الأمام.

عندما تشيع ظاهرة الغش في المدرسة والمجتمع والهيئات العامة تتجمد الحياة بطابعها الديناميكي والمبدع، وتكون التربة خصبة لانتشار الانحرافات والمفاسد الموبقة والكسل القاتل، وفي هذه الأجواء والمناخات تكون الفرصة سانحة للفاشلين وشاذي الآفاق للتسلق والاستعلاء على حساب مصلحة المجتمع، فتتفشى في الناس روح الملق والرذيلة والتحاسد والتخابث، ويجف ينبوع الخير والنماء.

وفي رسالة من أساتذة جامعيين إلى طلابهم قالوا:

(إن تدمير أمة لا يحتاج إلى قنابل نووية أو صواريخ بعيدة المدى ولكن يحتاج إلى تخفيض نوعية التعليم والسماح للطلاب بالغش:

- يموت المريض على يد طبيب نجح بالغش.
- تنهار البيوت على يد مهندس نجح بالغش.
- نخسر الأموال على يد محاسب لص نجح بالغش.
- يضيع العدل على يد قاض بلا أخلاق نجح بالغش.
- يتفشى الجهل في عقول الأبناء على يد معلم نجح بالغش.

وعليه، فإن انهيار التعليم والأخلاق هو انهيار الأمة بكاملها).

دأبت المراجع المسؤولة إلى افساد التعليم لتسهيل مهمتها في ممارسة الفساد ولخلق وعي مهادن ومتكيف مع المفاسد وعدم مقاومة العفن وتدجين الإنسان عبر مؤسسات التنشئة الاجتماعية ومنا مؤسسة التربية والتعليم:

تصوروا معي أجيالاً تنشأ في مداجن الدولة لا تتعلم إلا الجمل التقريرية وتتلقن الحقائق التي تريد الأنظمة أن تلقنها إياها دونما سؤال أو تفكير... كيف يمكن لأفراخ المداجن أن يبنوا وطناً، ويخلقوا مجتمعاً جديداً، ويفكروا بالتحاور والنقد وتحرير الإنسان من الظلم والاستغلال والاستعمار ؟ ! كيف تستطيع أجيالاً تنشأ على الجمل الأمرية والإذعان الدائم والانصياع كما تؤمر بفعله، أن تكتنه وتكتشف وتغامر وتبحث وترفض الاستبداد والقمع وطغيان السلطة وتحرير فلسطين؟!

إن مداجن كهذه لا تنتج إلا أفواج الدجاج المقاقئ للسلطة، والذي يبيض بأوامر منها ويمتنع عن البيض رعباً من طغيانها. وهو في كل شيء يحفظ النصوص التي تريد له الأنظمة الحاكمة أن يحفظها ببغاوية مطلقة، دون أن تكون له القدرة على التحليل المتشكك المتسائل، والتفكير النقدي الذي يبحث عن الحقيقة بحرية وإخلاص (أبو المجد، 2008: 105).

لكي تظل النخب الفاسدة متسيدة وقابضة على مقاليد الأمور، لا يمكنها أن تدفع بعجلة التعليم إلى الأمام، لا يمكنها أن تساعد المؤسسات التربوية والتعليمية والثقافية على القيام بوظائفها على أكمل وجه.

ففساد التعليم والعبث بإيقاعات الحياة وتشويش الرأي العام وخلط الأوراق والعبث بالاستقرار ومقومات الحياة الأساسية لاستمرار التفلت والفوضى.

لابد من بناء دولة الحق والقانون وإعادة الاعتبار لمؤسسات التعليم والثقافة:

تخصيص مناهج تعليمية راقية لتطعيم النشىء بمصل الوعي الذي يذود عنهم ميكروبات وفيروسات الأفكار المظللة (عراق، 2007: 162).

نظام التعليم يحتاج إلى ثورة حقيقية، ذلك أن عناصر « التلقين» و «التكديس»، و «الاستظهار» و « تقديس الامتحانات»، قد كرست – ونشأت حولها تحميها، منها عادات المتعلمين الضارة، ومصالح المعلمين، واهداف السياسيين، على ذلك أصبح تفكيك هذا الوضع القائم أمراً في غاية الصعوبة (الربيعي، 2007: 73).

د- الأعياد:

منذُ 2015م وحتى البرهة الراهنة زادت الأوضاع سوءً وتغيرت طقوس الأعياد التي كانت إلى حد ما مزينة بالفرح والسرور، أعيادنا اليوم مكسوة بالحزن والآهات في خضم المنغصات والأزمات الطاحنة التي تخطف البسمة من شفاهنا وتحول أفراحنا إلى مآتم.

كانت الأعياد مفعمة بالمحبة والتسامح والمباسمة والمفاكهة ومترعة بالبر والإحسان والصدقات والعز والأفضال، تطوقنا مشاعر السرور والجدل ومكارم الأخلاق ومحامد الأفعال.

كانت أعيادنا جميلة مزينة بالتفاعل الاجتماعي، الذي يعني أن الناس في المجتمع يتبادلون المصالح والمنافع والمشاعر والأحاسيس بطريقة ودية مهذبة، حيث يقابل الناس بعضهم بعض بالبشاشة وبطريقة مباشرة أو غير مباشرة.

والتفاعل الاجتماعي صورة من صــور الاندماج الاجتماعي، أي يمتــزج الفرد في المجتمــع ويصبح جزاءً منــه، فلا يمكن أن نتصور مجتمعا ما دون تفاعل اجتماعي، فمن سمات المجتمع التفاعل والتداخل والتقارب والتدامج الاجتماعي.

يجمع المجتمع علاقات إنســانية وتفاعل إنســاني وارتباطات ومنافع عامــة، فالمجتمع يتكون من جماعــات اجتماعية وبُنى ومؤسسات ثقافية وعادات وتقاليد وتراكيب نفسية ووجدانية ومعتقدات وأهداف واحاســيس ومصالح مشتركة، فالناس يتواجــدون في بيئة جغرافية ويعيشــون ويعمــرون المجتمع ويتاكثــرون من زاويــة بيولوجية في ظل اســتقلال وتضامن وألفة وتساكن اجتماعي نسبي وثقافة وأنماط سلوكية ومعيشية وتفاعلات اجتماعية وثقافية وروحية متبادلة.

والاتصــال مــن العنــاصر المهمــة للتفاعــل الاجتماعــي حيث يتم إيصال رســالة من مرســل إلى متلقــي وعبر عملية الاتصال تتقوى العلاقــات الاجتماعية فعبر التواصل يتم نقل الآراء والمفاهيم والمعتقدات والمعارف والأحاســيس والمشاعر والمعلومــات والاتجاهات إلى فرد آخــر أو إلى جماعة اجتماعية معينة أو إلى مجتمع آخر:

الاتصال ضرورة إنسانية واجتماعية، فحاجة الإنسان للاتصال لا تقل عن حاجته للأمن والغذاء والكساء والمأوى. وبما ان الإنسان كائن اجتماعي اتصالي فإنه لا يستطيع العيش في معزل عن المجتمع، فالعزلة تعني العقاب والمرض النفسي أو الانسلاخ عن المجتمع. فالمجرم مثلاً يعاقب بالعزل عن المجتمع بالسجن والإنسان غير الرغوب فيه اجتماعياً يقاطعه المجتمع. فالاتصال يعني تطوير وتقوية العلاقات الإنسانية في المجتمع وبالتالي التماسك والترابط والتواصل بين الأفراد والجماعات والمؤسسات الاجتماعية (أبو عرقوب، 2005: 20).

لقد انحسرت في الفترة الأخيرة الزيارات العائلية والتفاعل والتواصل الاجتماعي بسبب الفقر وضيق ذات اليد وارتفاع أسعار البنزين والمواصلات والضغوط النفسية والمكابدات الروحية وميل الناس للتقوقع والانزواء والكسل والنوم.

يوم العيد يوم حزين منزوع الفرحة يقابله الناس بقلوب منكسرة واجساد منهكة من السهاد والوجع والآلام والمشقات والسأم الحياتي. لم يعد الناس يهتمون بمظاهرهم وملابسهم، وتحجم عائلات كثيرة عن شراء الملابس بسبب ارتفاع الأسعار أكثر من 300 ٪ .

الملابس مرآة لحياة الفرد والمجتمع وللروح الرمزية المهيمنة في البيئة الاجتماعية وتحمل خزاناً من الرموز والدلالات والأخيلة والصور ومزيجاً من الحزن واللين والعنف والسماجة والفطرة والبداهة، فهي تعطي انطباعاً اولياً عن الفرد وحالته النفسية وثقافته وميلوه ووضعه الاجتماعي وذائقته الفنية والجمالية وتفاعله الاجتماعي والإنساني والحضاري:

ويمكن معرفة طبيعة الإنسان من خلال نمط ملابسه (https: / /ila.io /8ysvs).

فلم يعد الفرد في المجتمع يهتم بمظهره وملابسه بسبب الضغوطات والمواجع المؤلمة، ولم يعد مكترث بجمال ونوعية الملابس لجذب انتباه الآخرين أو للتزين ومسايرة الموضة - حسب الدراسات الخاصة بسيكولوجية الملابس (عابدين، 2008: 65).

فالوجوه منكسرة وعابسة في البيوت والشوارع والفضاء العمومي:

ويعتبر الوجه بطاقة التعريف الأول بالشخص. إنه المكان الوحيد في الجسم الذي يصعب إخفاء تعبيراته، إلا بواسطة قناع (ميسنجر، 2006: 37).

وفي أجواء العيد المكفهرة تتكاثر بشكل مدهش أعداد الكلاب الضالة والمسعورة والمجانين في الشوارع.. هنا كلاب تنبح، وأخرى تعض، وتشير بعض المصادر إلى أن هناك أكثر من مليون كلب شارد في اليمن، وهناك مجانين يتحرشون بالمارة، ويسرحون ويمرحون في المسالك والطرقات ويزرعون الرعب والقلق في النفوس، ويسيرون بحرية بلا حدود عارضين بضاعتهم للمارة، ويعمقون روح الكآبة والضجر والتأفف في الفضاء العام.

ففي اليمن كما تشير منظمة الصحة العالمية « قبل الحرب « كان هناك (20 ٪ من السكان يعانون اضطرابات سلوكية وانفعالية، فيما يعني أن أربعة ملايين نسمة يحتاجون للمساعدة النفسية، في حين أن هناك طبيباً واحداً لكل 100 ألف من طالبي المساعدات النفسية)، أما اليوم فقد تضاعفت الأرقام بشكل مذهل.

على رأس المشاكل التي يصطدم بها السارحون والبارحون في الشوارع تتلخص في كيفية التملص من المجانين الذين يمشطون الشوارع والأزقة والجادات الطويلة ويجدون لذة ممتعة في الاسترخاء أمام الناظرين، ويتبولون ويتبرزون

ويطلقون القنابل القذرة والشـتائم والألفاظ النابية في الفضاء العـام ويعابثون أعضاءهم التناسـلية، ويفترشـون الأرض ويلتحفون السماء، والعاقل في زماننا كما يقول بطل رواية (قهوة أمريكية) لأحمد زين:

يهرب من رؤية المجانين الذين ينتشرون في الشوارع، إلى درجة يخيل إليه أحياناً أنه لم يتبقى فيها عاقل. الجنون والقتل برصاصة طائشـة، هو أكثر ما يخشـاه في هذه المدينة، ويحاول دائماً أن لا يشغل باله بالتفكير، في سوء الأوضاع الاقتصادية وترديها، أو في المأزق الذي يعيشـه غالبية الناس، حتى لا يسقط في هاوية الجنون (السقاف، 2007: 32).

فلا مستقبل لأمة تتكاثر فيها أعداد الكلاب الضالة والمجانين، ولا مستقبل لأمة مشـحونة بالجهل ومترعة بالإحباط المزمن، ولا مستقبل لأمة لا تخترق حصار الخوف ولا تحطم الأصنام، ولا تنتقل من دائرة التوجس المـرضي إلى دائرة الفعل الخلاق لمصارعة السوء في حياتنا.

فمـن الصعـب أن نطلب من بسـطاء أذلهم الفقـر وطحنت عظامهـم المصائب والحرب، وتكـبر في حلوقهم غصة الخيبة والألم ويطاردهم كابوس الخوف وتنهش أجسادهم الأمراض،

ويعانون من اضطرابـــات مزمنة وخراب نفسي و وجداني، من الصعب أن نطلب من هؤلاء بناء الأوطان:

فكيف يمكن لإنســـان بائـــس وفارغ، وغارق في مشـــكلات ويومية تافهة، ذي عقلية متخلفة عن العالم بعشرات الســـنين، أن يبني وطناً أو يقوم بأية ثورة صناعية أو زراعية (مستغانمي، 1998: 148).

أصبح بعـــض الناس عاجزين عن رؤيـــة أصابع الأمل، وعن تجديـــد شرايين الحيـــاة، وتقوقعـــوا تحت صومعـــة الأمراض وأصيبوا بألوان شتى من العلل النفسية، من:

قلـــق، وخـــوف، و اكتئاب، و وســـواس قهـــري، و انفصام (تشيزوفرينيا)، وانهيارات عصبية، وعصاب، وذهان.

الحرب زلزلت حياة الناس وأفسدت نكهة العيد وضاعفت من محنة الفقر والمرض والجفاف والقحط والركود والتخلف الكمـــي والزمني وقلبـــت موازين الحياة رأســـا على عقب وتفشـــت الأمراض والمفاســـد والعلل والفوضى والغرائز الذئبيـــة والفتن والغربة والقبوع والانـــزواء وتهدم العمران ودمرت الإنسان وآدميته.

في العيـــد لايهنأ الناس بشراب ولا طعـــام ولا قعود ولا منام، نهبط من سافل إلى أسفل.

الرئيس والحكومة والوزراء وأعضاء مجلس النواب والقيادات العسكرية والمدنية وشـــيوخ القبائل والقامات الروحية وقادة الأحزاب والوجـــوه الاجتماعية وكبار الموظفين يعيشـــون في الخـــارج في بحبوحة ونعيم، وتركوا الشـــعب يعارك طواحين الهواء ويهيم على وجهه منســـحقاً في الشـــوارع يفتقد لأبســـط مقومـــات الحياة ويحلم بالأمن والســـكينة والرضوان ويتجرع كأس الهلاك والأوضاع المتلاطشـــة، ولا يـــرى في أعياده غير السوء والمآتم والأحزان والجوع والعطش والظلمات المطلسمة.

عيد بلا حبـــور ولا سرور محمل بالنفـــور والقطيعة والتهاجر والتباعد الجسدي والاجتماعي والانكسار الروحي، عيد خالِ من الطهارة والاناقـــة والجمال، خالِ من طلاقة الوجه وعذوبة اللسان والمؤانسة والصفاء والمحبة والمسامحة.

عيـــد تطحننا فيه التشرنقات والتكلســـات الفوضى والفســـاد والعنـــف والاحترابات والإلتـــواءات الثعبانيـــة، تطحننا فيه الحرارة والرطوبة والجوع والعطش والمكابدات الحياتية.

تســومنا انقطاعات الماء والكهرباء وارتفاع الأســعار وانهيار الخدمات والمؤسسات والقيم والسقوط الرهيب لركائز الحياة.

عيــد مرتوق بالملــل والخمول والمضض الروحــي والتخلف وبالرزايــا والبلايا وبعقليــات صلدة منغمســة في الاضاليل والشــطحات والفكر المتخشــب وغارقة في مجاهــل الغرور ومصرة على الخطأ والاســتعلاء والاستكبار وغير مكترثة بأنين الشارع ولا تنظر أبعد من أرنبة الأنف.

الملاحظة الجديرة بالاهتمام أن ثمة عادات مقرفة تصاحب حياتنا في الأعياد، ألا وهي ذبح الأضحية في الأماكن العامة وبشــكل فوضوي امام البيوت وفي الشــوارع بما فيها الشارع الرئيسي في المعلا، وتتراكم القاذورات والدمــاء والجلود ومخلفات الذبح والروائــح النتنة التي تزكم الأنوف في مشــاهد لا تسر الناظر وتبعث التقزز في النفوس وتبعث برسائل ودلالات انهيار القيم الحضرية والأخلاقية وهبوط الوعي وتراجع مستويات النظافة الشخصية والعمومية في ظل انعدام الماء وغياب سلطة البلدية.

سمات العيد:

1- الكآبـة والكربـة العظيمة والنفوس المنكسرة والغربة والمنفى: المنفى ليس منفى جغرافياً فقط، لكنه منفى عقلي ونفسي أيضاً. فليس ضرورياً أن تكون خارج وطنك لتكون منفياً، فهناك منفيون داخل أوطانهم، وهذا المنفى أشد فجيعة وإيلاماً (قباني، 2011: 88).

2- أزمة الخدمات وغلاء المواصلات والمواشي والأغنام.

3- فتور العلاقات الاجتماعية وانحسار التواصل الاجتماعي والزيارات المنزلية.

4- انشغال الناس بالماء والكهرباء ونقص مزمن في متطلبات العيد.

5- قلة النظافة وشحة الماء وتراكم القاذورات في الشوارع.

6- استخدام الناس للحمير في نقل الماء والمواد الغذائية ومتطلبات العيد.

7- انتشار كثيف للحمير والكلاب والفئران في الشوارع.

8- احجام البعض عن زيارة المرضى والقبور والأرحام وعدم تمكنهم من الذهاب إلى المتنفسات والشواطئ والحدائق لضيق ذات اليد.

9- أعياد تضج بالمتسولين والفقراء والشحاتين والمهاجرين الأفارقة.

10- حركة المواصلات شبه متوقفة بسبب غلاء اسعار المواصلات وانعدام البنزين.

11- رتابة العيد والنقص المزمن في المتطلبات وعدم استلام بعض الافراد لرواتبهم الحقيرة.

12- قلة الباعة في الشوارع وضعف القدرة الشرائية عند المواطنين.

13- عدم قدرة مجاميع من الناس على شراء أضحية العيد وملابس العيد.

14- الحرارة الشديدة والرطوبة المرتفعة المصحوبة بانقطاعات الكهرباء لساعات طويلة «ما يقارب 11 ساعة».

15- انعدام ماء الغسلة والماء البارد للشرب وعراك بين الأهالي أمام الحوانيت من أجل الحصول على قطعة ثلج.

16- عدم اهتمام الناس بملابسهم وبمظاهرهم بسبب الفقر والصدمات الكبرى والبطالة ونقص المتطلبات الأساسية للحياة.

سلوك الإنسان وردود فعله هي حصيلة لتفاعل الشخصية مع البيئة، وتعتبر البيئة المحيطة بالإنسان بكل مكوناتها الطبيعية والعمرانية والاجتماعية من أهم العوامل ذات التأثير المباشر على الإنسان، فهي التي يتكون على أساسها شخصيته وسلوكه وردود أفعاله ونمط حياته (ريماز، 2017: 124).

17- الضجيج والتلوث السمعي والبصري والأصوات الصاخبة للمولدات الكهربائية في البيوت والشوارع والأزقة التي تشج الرأس شجاً.

18- انعدام التوازن النفسي المتواكب مع والأرق والسُهد.

19- انسياب مياه المجاري في الجادات والمماشي والأزقة والشوارع.

20- أزيز الرصاص والطماش والقنابل الصوتية والفوضى العارمة أضحت علامة من علائم الأعياد.

21- عدم تمكن المواطنين من مشاهدة التلفزات القنوات الفضائية بسبب انقطاع الكهرباء.

22- هوس المواطنين الصغار والكبار بمضغ القات في الأعياد للبحث عن متعة فاخرة وللترويح على النفس وللتقليل من الأوجاع والاضطرابات والمضض الروحي.

وغني عن البيان القول أن الدراسات العلمية (العطاس، 1982: 101 103-)، أكدت ان للقات أضرار صحية أبرزها: القلق والأرق، والإمساك، وفقدان الشهية، يؤدي إلى البواسير، والاضطرابات النفسية، الشعور بالعطش وجفاف الفم، سرعة ضربات القلب والشعور بالبرد والقشعريرة، التهابات اللثة والفم، ويساعد على سقوط الاسنان المبكر، اضطرابات المعدة، يؤدي للفتور والكسل.

ومع ذلك يعتبر المواطنون القات مصدر لبهجتهم وجزاءً من نمط حياتهم. ففي فضاءات الحرب والانهيار المفزع لمداميك المجتمع صار الإنسان يرسف في قيود وأغلال مادية وروحية وعرضة للموت والانتحار والعنف والتصدع الأسري وتعاطي المخدرات والانهيار القيمي والعنصرية وادمان المسكرات.

فالحرب وأهوالها ضاعفت من نسبة المشاكل الاجتماعية العميقة وجعلت الناس يسيرون بلا بصيرة، ينتقلون من أزمة إلى أخرى ومن نكبة إلى أخرى ومن منيت إلى منبت ويقبلون بشكل غير

مألوف في الأعياد والأيــام العادية على مضغ القات هروباً من حلبــة الصراع الدمــوي وأجواء الصدمــات والفقر والمرض والمشاكل ومشــقات الحياة وللبحث عن متعة فاخرة في فضاء من الكسل والثرثرة والتشرنق والتكلس العقلي:

يطنون في رحلة « القات» أن الظلام انتهى

والقيود انتهت والسجون

وحين يعودون من رحلة « القات»

تدهمهم سحب الليل

تمضغهم عاصفة السجون« عبد العزيز المقالح».

الخلاصة:

سوســيولوجيا الحياة اليومية مترعة بالشــقاء والبلاء العظيم وانعدام المعايش، وأولى معالم النكبات انهيار مؤسسات الدولة التي جلبت الكوارث والمــآسي وحولت حياة الناس إلى طابع غوغائــي وإلى فوضى وجحيــم لا يحتمل، وتســاوق مع هذا الانهيار حرب الخدمــات الذي أدارته عقول مريضة ملوثة من أهل القوة والجور والثعالب المتربصة.

فحرب الخدمات في جوهرها سياسية الهدف منها تركيع الناس وكسر شوكتهم ليتسنى للنخب المهيمنة ومن يقف خلفها التهام المجتمع وثرواته وتكسير عزيمته.

وما يحدث في حرب الخدمات يشبه إلى حد كبير ما جاء في نظرية الصدمة التي بسطها عالم النفس الاسكتلندي دونالد كاميرون، وعالم الاقتصاد الأميركي ميلتون فريد مان.

تطبيــق نظرية الصدمة على المجتمع بصورة واعية أو غير واعية أدى إلى زلزلة حيــاة المجتمع وتغير عــادات وتقاليد المجتمع ومفردات الحياة اليومية .

المراجع:

- أبــو المجد، كــمال (2008). (ضمور الفكــر النقدي). دبي الثقافية (دبي). العدد 38 .

- أبــو عرقــوب، إبراهيــم (2005). الاتصال الإنســاني ودوره في التفاعــل الاجتماعي. عمان: دار مجدلاوي للنشر والتوزيع.

- أرســلان، الطيب (2003). يوميات مبرشــت. صنعاء: مركز عبادي للدراسات والنشر.

- الخدام، غدير (2019). (أنواع الحروب عبر التاريخ).

https: / /soror.com 19.7.2019

- الربيعــي، محمــود (2007). (وجهــاً لوجــه). العربي (الكويت).

- العدد 73.

- الأيام (عــدن). العدد 6072، 4100، 7232، 4374، 7232.

- الأمناء (عدن). العدد 1092 .

- السقاف، أحمد (2007). رواية قهوة أمريكية. بيروت – الدار البيضاء:
- المركز الثقافي العربي.
- السمان، غادة (2005). (حوار مع غادة السمان). نزوى (عمان).العدد 43.
- الشميري، سمير (2002). القات وشيوع تعاطيه في المجتمع اليمني. دمشق: المركز العربي للدراسات الاستراتيجية.
- الشميري، (2018). عدن الحرية الثقافية والتقهقر المدني. أبوظبي: ثقافة للنشر والتوزيع.
- الشميري، (2020). الثورة والهجرة والهوية في مجتمع متشظ. أبوظبي: ثقافة للنشر والتوزيع.
- الشفيع، ريماز (2017). تأثير السكن العشوائي على العمارة والتخطيط.
- رسالة ماجستير – جامعة السودان للعلوم والتكنولوجيا- كلية الهندسة.
- العطاس، حسن (1982). القات تركيبه الطبيعي وأثاره الصحية والعصبية.

- في كتــاب: القات في حيــاة اليمنيين رصــد وتحليل مركز الدراســات والبحــوث اليمنية صنعاء. بــيروت: مكتبة الجماهير.
- العلــوان، هــدى ومحمــد مهــدي حســن (2015). سوسيولوجيا الحياة اليومية الحضرية. مجلة اتحاد الجامعات العربية للدراسات والبحوث والهندسة (القاهرة). المجلد 22. العدد 2.
- الكواكبــي، عبد الرحمــن (2003). طبائع الاســتبداد. بيروت: دار النفائس للطباعة النشر والتوزيع.
- الماغوط، محمد (2004). سأخون وطني هذيان في الرعب والحرب. دمشق: دار المدى للثقافة والنشر.
- الرشيد، سامي. (تحطيم الدولة العراقية).

https: / /www.ammonnews.net

- تشوميسكي، نعوم (استراتيجيات التحكم في الشعوب)

https: / /maktaba-amma.com

- جراى، كيف (2011). المشــاكل النفسية. القاهرة: دار الخلود للتراث.

- جميل، حسين (1986). حقوق الإنسان في الوطن العربي. بيروت: مركز دراسات الوحدة العربية.

- حجازي، مصطفى. الإنسان المهدور دراسة تحليلية. الدار البيضاء- بيروت: المركز الثقافي العربي.

- دونــو. نظام التفاهة. ترجمة: مشــاعل الهاجري. بيروت: دار سؤال.

- زايد، أحمــد (1992). خطاب الحيــاة اليومية في المجتمع المصري. دبي: دار القراءة للجميع.

- زهران، حامد (2003).علم النفس الاجتماعي. القاهرة: عالم الكتب.

- سيبوزا، باروخ (1982). رسالة في اللاهوت والسياسة. ترجمة: حسن حنفي. بيروت: دار الطليعة.

- صفوة، ســهير (2019). (الشــارع المــصري وانفلات الاخلاق).

https: / /misrabalad.com

- عابديــن، علية (2008). دراســات في ســيكولوجيات الملابس. عمان: دار المسيرة للنشر والتوزيع.

- عـــراق، نـــاصر (2007). (يا أمة ضحكـــت من جهلها الأمم). دبي الثقافية (دبي). العدد 26 .
- عراق (2008). (أصحاب الجلد الغليظ). دبي الثقافية. العدد 42.
- عدن الغد (عدن). العدد 1324، 164 .
- عدن تايم (عدن). العدد 106 .
- غدنيـــز، 2005 . علم الاجتـــماع. ترجمة: فايـــز الصياغ. بيروت: المنظمة العربية للترجمة.
- فيبر، ماكـــس (د.ت). الأخلاق البروتســـتانتية. ترجمة: محمد علي مقلد.بيروت: مركز الإنماء القومي.
- قباني، نزار (2011). حـــوارات العربي. الكويت: كتاب العربي.
- كلايـــن، نعومـــي (2011). عقيدة الصدمـــة – صعود رأســـمالية الكـــوارث. بـــيروت: شركـــة المطبوعـــات للتوزيع والنشر.
- ماسلو، إبراهام.(هرم ماسلو للحاجات الإنسانية).

https: / /uobabylon.edu.iq

- مســـتغانمي، أحلام (1998). ذاكرة الجسد. بيروت: دار الآداب.
- ميســـنجر، جوزيـــف (2006). المعـــاني الخفية لحركات الجسد. بيروت:شركة الفراشة للطباعة والنشر.
- Alayyam.info.news.24.3.2022.
- https://almshhad alaraby.com.14. 4. 2019, 27.3.2022.
- https:www. 4may.net. 25.3.2018
- https:ar.m.wikipedia.org
- https:maktaba.amma.com
- https:mobile.twitter.com
- https:small wars journal / author / max -g-manwaring?fbclid=1war1+NDE172 ak W+KILINTO 19KMO1 g FPKPYLhDeq RTT7SU3 WLIZWK15nsLeo

الفصل الثالث

انهيار المنظومة الأخلاقية

مُدخل:

راقبنا الوقائع والظواهر والحــوادث والتغير المعياري في مدار أفلاكها الاجتماعية، فالملاحظة الميدانية أو الملاحظة بالمشــاركة كانت منطلقنا في دراســة انهيار المنظومــة الأخلاقية في حقبة حالكة الظلمة.

ولابــد لي من المجاهرة، أني اتبعــت منهجية صارمة في البحث وعززت هذه المنهجية بتســاؤلات مرتبطة بقلق المعرفة وبدقة الملاحظة الميدانية:

- لماذا انهارت المنظومة الأخلاقية ؟
- هل هنــاك علاقة بين انهيــار الخدمات وانهيــار المنظومة الأخلاقية ؟
- ما أهم قسمات الطبقة الوسطى وكيف تحولت هذه الطبقة إلى طبقــة بائســة يعصف بهــا الفقر والجوع وتســتبد بها الأمراض والتصدعات ؟
- مــا ملامح حركــة الشــارع مــن زاوية سوســيولوجية وســيميولوجية وكيف عكس الشــارع ملامــح الانهيار الأخلاقي ؟

هذا ويتكون الفصل من النقاط التالية:

أولاً: القيم ومسببات انهيارها.

ثانياً: خراب اجتماعي وانحطاط أخلاقي.

ثالثاً: الشارع وانهيار المنظومة الأخلاقية.

أولاً: القيم ومسببات انهيارها:

الأخلاق قناعة ذاتية تسيطر على أذهان ووجدان واحاسيس وضمائر البشر وتنعكس في مسلكهم اليومي، وتنشأ القيم الاجتماعية في المجتمع في سياق حياة الناس وتفاعلهم الاجتماعي وتعكس وجودهم وكينونتهم في المجتمع.

لقد أشار الدكتور محمد عابد الجابري في مؤلفه الموسوم ب «العقل الأخلاقي العربي» أن نظام القيم:

ليس من صنع الفرد بل ينشأ في المجتمع ومن المجتمع ككل... ونظام القيم ليس مجرد خصال حميدة أو غير حميدة، يتصف بها الفرد فتكون خلقاً له، بل هو بالدرجة الأولى معايير للسلوك الاجتماعي والتدبير السياسي ومحددات لرؤية العالم واستشراق المطلق (الجابري، 2006: 55،56).

علماء الاجتماع نظروا للقيم من زوايا مختلفة، حيث كان يعتقد عالم الاجتماع الألماني ماكس فيبر أن القيم نظام أفكار، وعبر عنها دور كايم بأنها الضمير الجمعي، وعلى العكس كان يرى توكفيل أن القيم مشاعر جماعية، وأكد مونتسكو أن القيم هي الأدب.

ويتم غرس القيم في المجتمع عبر التنشـئة الاجتماعية، وللقيم وظائف متنوعة حيث أنها:

- تعمل كمعيار لتوجيه القول والسلوك الصادر عن الأفراد في المواقف المختلفة.
- تعمل على بناء شخصية الفرد.
- تعمل على تنظيم المجتمع وضبطه واستمراره.
- تحافظ على البناء الاجتماعي.
- تساعد الأفراد في التكيف مع الأوضاع المستجدة عليهم.
- تسـاعد في تحقيـق التكامل في المجتمع من خلال النسـق القيمي العام.
- تسـاعد في حل الصراعـات واتخاذ القـرارات، ذلك أن القيم هي مجموعة من المبادئ التي يتعلمها الفرد لتساعده عـلى الاختيار بـين البدائـل المختلفة وحـل الصراعات واتخـاذ القـرارات في المواقـف التي تواجهـه (البطش، الطويل،1990: 39).

فالأخلاق مـن وظائفها زجر النفس الأمارة بالسـوء وضبط سلوك الأفراد في المجتمع وتنظيم تفاعلهم الاجتماعي وتمنعهم

عـن الابتذال وتهذب القناعات والأحاسـيس وتقمع الغرائز المتناشزة مع الذوق العام وعادات وتقاليد المجتمع.

- ولقد أشـار عـالم الاجتـماع غـي روشـية (1924)، إلى أن الوظائف الاجتماعية للقيم هي:

1- تماسك النماذج،

2- وحدة الأشخاص،

3- التكامل الاجتماعي،

4- الرمـوز والفعـل الاجتماعي (روشـية، 1983: 104 - 107).

ولقـد عرف القيمة غي روشـية من أنها طريقـة في الوجود أو في السـلوك، يعترف بها شـخص أو جماعة على أنها مثال تحتذى بها، وتجعل هـذه الطريقة من التصرفات أو من الأفراد الذي تنسـب إليهم، أمراً مرغوباً فيه أو شأناً مقدراً خير التقدير (روشية: 88).

وفي سـياق تفاعل الأفراد في الفضاء الاجتماعـي يختار الفرد السلوك الذي يوائم مشربه واتجاهاته وقناعاته:

ويظهر من خلال التفضيل والاختيار بين البدائل المتاحة وتحدد في الأنماط السلوكية المختلفة للأفراد وفي اهتماماتهم واتجاهاتهم

حيث تعمل القيم على ضمان استمرارية التفاعل بين أفراد المجتمع وجماعاته لأنها توفر قدراً من التوقعات التي يتفاهمون على أساسها ويخضعون تصرفاتهم لها، ويعتزون بالحفاظ عليها والدفاع عنها ونبذ المشوه لأنماطها فهي تشكل إطاراً مرجعياً لسلوك الفرد في المواقف المختلفة إذ تحركه في اختيار نوع السلوك وأهداف الحياة، كما يحدد له ما يجب أن يقبله (خروف، 1998: 147 – 148).

ولعلني لا أخطئ حين أقول، أن القيم الاجتماعية قناعات ورؤى ومعتقدات يؤمن بها الناس ويترجمونها في غميس حياتهم لتصبح جزءً من هويتهم ومرتوقة في تصرفاتهم ووجدانهم في المحيط الاجتماعي، والقيمة حسب ما بسطه محمد قروق كركيس هي:

نموذج ذهني نسبي من المعتقدات أو التصورات الإيجابية أو السلبية، منسوبة حول شيء أو نمط سلوكي يتحكم في نفوس الناس وطرائق تفكيرهم وأحكامهم واختياراتهم ومواقفهم وتصرفاتهم، وذلك بصيغة مستمرة نسبياً، ويترتب عليه نظرة المجتمع الإيجابية أو السلبية إلى أفراده، ومن ثم فإنه يسهل في تنظيم شبكة العلاقات الحيوية التي

تحدد هوية الإنســان ومعنى وجــوده وغاياته فيــما بينه وبين نفســه وبين الآخريــن والمؤسســات والواقع، مكانــاً وزمانا (https: / /www.m.ahewar.org /s).

ويؤكد المختصون في حقل علم الاجتماع أن القيم تتكون:

من ثلاث مكونات هــي: المكون المعرفي والمكــون الوجداني والمكون السلوكي.

فالمكون المعرفي يشمل المدركات والمفاهيم والحقائق والمعارف، أما المكون الوجداني - ومعياره التقدير والشعور والانفعال بموضوع القيمة أو الميــل إليها أو النفور منها، وما يصاحب ذلك من سرور وألم وما يعبر عنه من حب وكره واستحســان واستهجان، وكل ما يثير المشاعر الوجدانية والانفعالات لدى الشخص نحو موضوع القيمة. أم المكون الســلوكي ومعياره الممارســة ويشمل الممارسة الفعلية للقيمة (الخزاعلة، 2018: 37 - 38).

وعنــد النظر في تغــير القيــم الاجتماعية والســلوك الفطري أو المكتسب لابد من معرفة المقومات والمتغيرات المهمة وهي:

الجنس، الســن، الشــخصية، البيئة الخاصة، والعوامل البيئية العامة (المغربي، 1994: 24 - 25).

والدكتــور حليــم بركات يــرى من وجهــة نظــره أن القيم الاجتماعية:

تلك المعتقدات التي نتمسك بها بالنسبة لنوعية السلوك المفضل ومعنى الوجود وغاياته، وتشــكل مصدراً للمقاييس والمعايير والوسائل والغايات والأهداف وأشــكال التصرف المفضلة، وتُعنى بتنظيم العلاقات الاجتماعية، وتدعو للامتثال المناقبي،

وتســود الواقع أو تحرض عــلى تغيره، وتتنوع بســبب تعدد مصادرهــا وتوجهاتهــا ومراميهــا، فقــد تتكامل فيــما بينها أو تتناقض، وتتغير الأحوال والعلاقات (بركات: 637).

هنــاك رهط من العلماء يؤكدون على تنــوع القيم ومن جملتهم عالم النفس الألماني سبرانغر حيث بســط ستة أنواع من القيم: Spranger االقيم الاجتماعية، القيم الدينية، القيم الاقتصادية، القيم السياسية، القيم الجمالية، القيم الفكرية (المغربي: 159)

وعطفــا على مــا ورد عاليه، هنــاك من ركز عدســته البحثية على الأخــلاق الاقتصاديــة والمهنية مثلما فعل عــالم الاجتماع الألماني ماكس فيبر في دراســته « الأخلاق البروتستانتية وروح الرأسمالية».

انهيار المنظومة الأخلاقيــة في المجتمع على همزة وصل بالتغير الاجتماعــي العاصف وعلى صلة بانهيــار الحضارات والدول والبنى الاقتصادية والاجتماعية والثقافية والروحية والعسكرية.

وأزمة القيم حسب تعبير المفكر محمد عابد الجابري:

كانت وما تــزال من الأزمات التي تبقى كامنة لمدة في نســيج الحيــاة الاجتماعية المتموجــة، لتنفجر بعد حين إما في شــكل «خــروج» عن النظام القائم المادي والروحي، أو هما معاً، وإما على شــكل أزمة « نفســية» تضرب الكيان الفكري والروحي للشخص (الجابري: 22 – 23).

عــالم الاجتماع الفرنسي دوركايم يؤكد أنه يتم فقدان المعايير في المجتمعات المضطربة والمتغــيرة وتتحلل الضوابط الاجتماعية مما يشــكل طاقة خطر على الســلم الاجتماعي، حيث يصاب الإنســان بالتذمر والمضــض الروحي والقنــوط والامتعاض واللامبالاة وفقدان الأمل في مسيرة حياته.

فالتغــير الصارخ في منظومــة القيم الاجتماعية متســاوق مع التغير الاجتماعي الجارف الذي هدم مؤسسات الدولة والبناء الاجتماعي وعلى صلة بانقلاب الحياة عاليها بسافلها حيث صار الناس يمشــون بلا هدى وبلا أمن فيزيقــي ولا أمن اجتماعي ولا أمن معيشي ولا أمن روحي.

لقد أصبحت حيـــاة الناس كومة عفنة مـــن المكر ولؤم الطباع ومدبوغة بالحرب والفساد والكذب والفوضى والفاقة والجور والوشـــايات والتفلـــت والنهب والتوتر والبلوى، وانكســـار ميزان التوازن الاجتماعي الذي يصب في خانة الشر والاحتراب والارهاب والدم المســـفوح والصعـــود الفوضوي للتعصب والتشـــدد والكره والتســـافل وتعزز منهج القهـــر الاجتماعي والظلم والتشرر، ولقد صدق عالم الاجتماع العربي عبد الرحمن بن خلدون حين قال:

الشعوب المقهورة تســـؤ أخلاقها، وعندما تفسد الدولة تتغير أخلاق الناس:

فلذلك يكثر الفســـق والشر والسفســـفة والتحيل على تحصيل المعاش مـــن جهة ومن غير جهة. وتنـــصرف النفس إلى الفكر في ذلك والغوص عليه، واستجماع الحيلة له، فنجدهم أجرياء على الكذب والمقامرة والغـــش والخلابة والسرقة والفجور في الإيمان والربى في البياعات. ثم تجدهم لكثرة الشهوات والملاذ الناشـــئة عن الترف أبصر بطرق الفسق ومذاهبه، والمجاهرة به وبدواعيه، واطراح الحشمة في الخوض فيه، حتى بين الأقارب وذوي الأرحـــام والمحارم، الذي تقتضي البـــداوة الحياء منهم

مـــن الإقداع بذلك. وتجدهم أبصر بالمكــر والخديعة، يدفعون بذلك ما عســاه ينالهم من القهر، وما يتوقعونه من العقاب على القبائح، حتى يصير ذلك عادة، وخلقاً لأكثرهم إلا من عمه الله (ابن خلدون: 411).

ومن أبرز تجليات انهيار القيم الاجتماعية هو الســقوط المدوي لمؤسسات الدولة والفراغات المرعبة وانتقال الناس من الحالة الاجتماعية إلى الحالة غير الطبيعية.

وترافــق مع هذا المشــهد التراجيدي تغيرات سوســيولوجية عميقة وصراعــات القبائل والعشــائر والجماعات والأعراق والطوائف والمذاهب التي أشار إليها المفكر الإنجلزي توماس هوبس حيث تســود حالة (حــرب الكل ضد الــكل) ويتم تقديم الغرائــز على العقل والمنطق ويتســاوق مع ذلك انهيار دور الأسرة والمدرسة والمسجد والبيئة الاجتماعية والمؤسسات الثقافية والإعلامية وتقهقر الضبط الاجتماعي وغياب النموذج التربوي والأخلاقي حيث تــم تحويل رجالات العلم والثقافة والتربية و الإعلام وصُناع المثل والأخلاق إلى فقراء وشحاتين ومســتضعفين وتم تقزيمهم وتحقير أدوارهم العلمية والثقافية والتربويــة وذهب بعض أهل الجهــل وشراذم من الغوغائيين

إلى وصفهم بأحط صفــات الوضاعة، وفي الضفة الأخرى تم الإعلاء من شأن السُراق و الفاسدين وشاذي الآفاق وجعلهم أنموذجاً يحتذى به في المشهد العمومي.

(الطغاة عبر التاريخ ضد تعليم الشــعوب مهما أدعوا،فالتعليم يعني الوعــي، والوعي يدفــع بالمواطن للمطالبــة بالحقوق ومحاسبة الحكام) «علي شريعتي».

وفي نفس الأفق، تم تســفيه الهوية وإفســاد الذاكــرة الوطنية والتاريخية، وتشــويه اللغة والثقافة والدين والتشــكيك بهوية الشعب وبحضارته ورموزه التاريخية.

لقد تم تحطيم القيم الإنســانية والتي تعتبر (السور الأخير ضد التوحش والبربرية) – حسب تعبير إدوارد سعيد.

وتواكبــت الانهيارات القيمية والأخلاقيــة بالأزمات المفتعلة التي يتجرع علقمها المواطن:

أزمة الماء، أزمة الكهرباء، أزمة الرواتب، أزمة الخدمات، أزمة الغاز المنزلي، ازمة البترول، أزمة الديزل، فضلاً عن الانهيارات الشاملة في نسيج الحياة الاجتماعية والحصار النفسي والوجودي واستشراء الفساد، فالفساد (أســوأ من الدعارة، فالدعارة قد

تفســـد أخلاق فرد، لكن الفساد يفسد أخلاق الدولة بأكملها) «كارل كراوس».

جملة يمكن القول أن ثمة أســـباب بألوان طيفية أدت إلى انهيار القيم الاجتماعية وأبرزها:

1- انهيار مؤسســـات الدولة ومؤسســـات الضبط الرسمية وغير الرسمية والضمير.

2- الحرب العبثية التي انهكت المجتمع ودمرت أسس الحياة وأكلت البشر واهدرت ثروة المجتمع.

3- عُسر الحيـــاة الاقتصادية الذي أفـــضى إلى انهيار أخلاقي وفساد وتربح غير مشروع.

4- الفساد والفوضى والجهل وضعف الوازع الديني وتوسع مساحة الجشع والأنانية المفرطة.

5- تفكك البناء الاجتماعي والأسري والانهيارات الشاملة.

6- انهيار مؤسسات التنشئة الاجتماعية.

7- تحطيم مؤسسات التربية والإعلام والثقافة.

8- اختلال التوازن الاجتماعي المصحوب بثقافة سطحية.

9- تقهقر الضمير الجمعي والتضامن الاجتماعي واستشراء السلوك الهابط المقرون بالأنانية والجشع والتوحش والانعزال.

10- اضطرابات التكيف والعقد النفسية وفقدان الأمن العاطفي.

11- غيبوبة الوعي وسياسة تجهيل الشعب واحتقار الرأسمال البشري والوجوه الثقافية والعلمية والتربوية.

12- تراجع أدوار الأحزاب ومنظمات المجتمع المدني.

13- طغيان سلطة التجبر وتقوي مداميك العصبيات.

14- التغير الاجتماعي والحياتي السريع والعاصف.

15- الاحترابات و الصراعات على المستوى المحلي والإقليمي والدولي.

ثانياً: خراب اجتماعي وانحطاط أخلاقي:

انهيار البناء الاجتماعي والطبقات والشرائح الاجتماعية والمنظومة الأخلاقية على عروة وثقى بانهيار الاقتصاد والحياة المعيشية ومقومات الحياة الضرورية من مأكل ومشرب وملبس ومسكن.

فإذا كانت الطبقات والشرائـح الاجتماعية ترتكز على مقومات اقتصادية ضرورية لوجودها، فإن تصدع هذه المقومات يؤدي إلى سقوط الهرم الاجتماعي وتحول طبقات وفئات وشرائح اجتماعية من وضع اجتماعي إلى آخر، خاصـة في زمن الهزات والتغيرات الاجتماعيـة العاصفة وتراكم الثـروات والملكيـات بيد فئات مضاربة في وقت سريع على حساب السواد الأعظم من الشعب.

هناك من يرى أن مفهوم الطبقة مرتبط بالثروة والمظهر وطريقة السلوك الاجتماعي والتعليم والمهنة والدخل:

ولم يسـتخدم اللفظ بمعناه الاجتماعـي في اللغات الأوروبية إلا منذُ عهد قريب نسبياً، فنجده سنة1766م عند (تيرجوت Ter got)، كما نجده بعد ذلك عند سـان سيمون سنة 1825 م، ثم شاع استخدامه منذُ أن وضع ماركس نظريته في الصراع الطبقي (حسن، 1982: 416).

وعلى سياق متصل هناك من يربط مفهوم الطبقة بالوعي الذاتي على اعتبار أن الطبقة ظاهرة نفسية اجتماعية، ورهط من العلماء يؤكـدون على ضرورة الأخـذ بعين الاعتبار مسـألة الوضع الاقتصادي والسياسي وطبيعة المهنة عند تعريف الطبقة:

ولقـــد حدد كال kahl في دراســـته للطبقات الاجتماعية ســـتة مؤشرات وهي:

المهنـــة Occupation ، والهيبـــة Prestige، والوعـــي الطبقي Class consciousness، والممتلـــكات Possessions ، ونمط التفاعل الاجتماعي Interaction ، والتوجهات القيمية Value orientations، (حسن: 423).

ويومئ عالم الاجتـــماع توماس بوتومـــور -1992 1929) Thomas Botomore

من أن مفهوم الطبقة يتطلب توافر إجراءات معينة أو عمليات محددة أي أن هناك متطلبات وظيفية وهي:

1- نسق اتصال.

2- نسق اقتصادي يختص بأمور الإنتاج وتوزيع السلع.

3- أجهـــزة (مثل الأسرة والمدرســـة) تتولى تنشـــئة الأجيال الجديدة.

4- نسق سلطة وتوزيع محدد للقوة.

5- نسق طقوس يصون التماسك الاجتماعي ويدعمه (بوتومو، 1983: 160 - 161).

وعالم الاجتماع الإيطالي موسكا حدد طريقة التحرك العمودي غير التحرك الأفقي في إطار الطبقة كانتقال من السكن والعمل، فالتحرك العمودي الذي بسطه موسكا هو انتقال الناس من طبقة إلى أخرى يمكن أن يحدث في المجتمع عبر:

الجيش، الثروة، الوضع الاجتماعي (الزواج)، عبر قوة الشخصية والسمات السيكولوجية، عبر المؤسسة الدينية، عبر السياسة، عبر التعليم واكتساب المعارف.

وحتى لا نتشعب في الموضوع علينا واجب التأكيد أن تعريف ماكس فيبر للطبقة يكاد يكون مقارباً للتعريف الماركسي من حيث التركيز على الوضع الاقتصادي (الملكية)، أو السوق كما يبسطه ماكس فيبر.

وضع ماكس فيبر للطبقة ثلاث أبعاد: اقتصادية واجتماعية وسياسية، وأكد أن وضع المرء في السوق هو المحدد الرئيسي للطبقة.

وهناك من يرى تقسيم المجتمع إلى طبقات على أساس ديني، وآخرون على أساس عنصري، وفريق ثالت على أساس قبلي وعشائري، وفريق رابع على أساس أسري، وفريق خامس على أساس ثقافي وتعليمي.

فالطبقة جماعة اجتماعية من الناس لها وضع اقتصادي واجتماعي وثقافي وروحي محدد، تتميز بتجانس المهنة وتقارب مستوى دخلها واستهلاكها وتعليمها وثقافتها وسيكولوجيتها ودرجة تفاعلها الاجتماعي، ويختلف حجم ملكيتها وثروتها في المجتمع عن الطبقات والشرائح الاجتماعية الأخرى، فقد تملك وقد لا تملك ثروة وأملاك، وقد تسيطر طبقة اقتصادياً واجتماعياً وثقافياً ولكنها غير مسيطرة سياسياً، وقد تسيطر طبقة سياسياً ولكنها غير مسيطرة اقتصادياً واجتماعياً وخصوصاً في المراحل الانتقالية من مجتمع إلى آخر ومن نمط اجتماعي إلى نمط اجتماعي آخر، وتختلف دور الطبقة في النظام الاجتماعي تبعاً لقوتها ودرجة تأثيرها.

الخراب الاقتصادي والاجتماعي والثقافي والانحطاط القيمي الذي ضرب أركان المجتمع لم يأت من فراغ، كان على صلة قوية بانهيار مؤسسات الدولة وبالتغير الاجتماعي الذي طرأ لصالح شرائح طفيلية ونخب متوحشة همها تجميع المال والتهالك على الثروة والسلطة، كل ذلك جاء على حساب الرأسمال البشري وعلى حساب آدمية الإنسان.

لقد تم بعد عام 1994 م لهف ملكية الدولة والأفراد والجماعات ورمي الناس في الشارع وتم:

إقصاء 367974 عاملاً وموظفاً وقيادياً جنوبياً من أعمالهم، ونهب وتخريب 255 مرفقاً حكومياً كان يعمل فيها 25341، ونهب وتخريب 333 مؤسسة قطاع عام تمتلك 1092 منشأة، وكان يعمل فيها 37279، ونهب وتخريب 266 تعاونية يعمل فيها 3839 عاملاً (الحراك، 2013: 23).

فالجهاز الإداري القائم في الجنوب كان نصيبه من التقاعد 90 ٪ من اجمالي المتقاعدين، ونصيب مدينة عدن من التقاعد في جهازها الإداري 60 ٪ .

ولعل مدينة عدن من أكثر المناطق اليمنية تضرراً من عملية الخصصة والتقاعد الاجباري والايقاف القسري عن العمل للعاملين والكوادر العلمية والكفاءات والوجوه الفنية والمهنية والإدارية منذُ عام 1994م (الشميري، 2018: 43-44).

الدمار يشمل التربة الوطنية، وجاءت الحرب لتكمل خنق انفاس الشعب اليمني:

اليمن تأتي في المرتبة 179 من أصل 189 في مؤشر التنمية البشرية لعام 2020م.

والحرب تكلــف اليمن يومياً 250 مليــون دولار منذُ مارس 2015م،وخلفت 20 ألــف أرملة و4 ملايين نازح داخلي، في ظل الأوضاع الزمية التــي انعدمت فيها المعايش وزادت فيها البطالة، حيث يعاني 7و20 مليون إنسان يمني من انعدام الأمن الغذائي، 5و3 ملون امرأة وطفل يعانون من سوء التغذية، وما بين 3 من 4 أشــخاص يحتاجون إلى مســاعدة غذائية، و535 ألف طفل يمني معرضون لخطر الموت إذا لم يحصلوا على علاج (ar.wfp.countries).

فالحياة مغموســة بالآلام والأوجاع والصراعات والمكابدات النفسية والمضض الروحي حيث يفتقر الناس لأبسط مقومات الحياة وضربــت العشــوائية والفوضى صميم حيــاة الأفراد والجماعــات الاجتماعية، وارتفعت النزعــة الذئبية في المجتمع وروح التوحش والأنانية المقوتة.

غلاء المعيشــة علامة ناصعة في حياة المجتمــع حيث ارتفعت أســعار المواد الغذائية بشكل جنوني أكثر من 200 ٪ مع زيادة الكثافة السكانية واعداد المهاجرين الداخليين والأفارقة:

وإضفاء الطابع الســلعي على الحيز في البُنية العمرانية الحضرية الحديثة، ويؤكد Lefebver ظهور شكل متميز من الحياة اليومية

ذي طابع نظامي بالغ الوضوح مجرد من المعنى الأخلاقي وخال من شاعرية الحياة (العلوان، 2015: 25).

ففي الأوضاع القاسية والمتعاجمة يلعق الناس المرارات وتكسر أضلاعهم الحرب والفاقة والفساد والعنف والإرهاب وتردي خدمـــات التعليم والصحة والثقافـــة وتنمو معدلات التفكك الاجتماعي والتهاجر والتناشـــز القيمي، وتتفشى ظاهرة الأمية والجهل والصراعات والجرائم والانحرافات الاجتماعية ويظهر ما يسمى في علم الاجتماع والنفس الاستلاب الأخلاقي:

أو ما يســـميه الناس في لغتهم اليومية بظاهرة الاجرام والعنف وحوادث الاغتصـــاب وتفشي المخدرات وطقوس تعبدية غير مألوفة، ويرى العلماء أن مثل هذه السلوكيات تأتي نتيجة افتقاد التوجيه في حلقات التنشـــئة من الأسرة وصـــولاً إلى الاعلام بتضخيـــم الجانب اللـــذوي وتعزيز قيم الســـوق والانتهازية على قيم التعامل الإنســـاني الخلوق، عندما اخذت تثير فيه متع عديـــدة: متعة الأكل، متعة الجنس، متعة حـــب الظهور، متعة الأنوثة، متعة الرجولة، متعة العنف، متعة اللامبالاة،

متعة التماهي بجميلات الشاشة وأبطالها ولو أقتضى ذلك الأمر آلاف الدولارات وشيئاً من الصحة (طربية، 2011: 52).

فالمشـــاكل والاحباطات والانكســـارات الحياتية اليومية تدفع الناس إلى الانحرافات:

ويرجع بعـــض علماء الاجتـــماع الانحـــراف إلى الاحباطات المتلاحقـــة في تحقيـــق الطموحات أو لوجود مســـافة بين واقع الانســـان وعدم تحقيقه ذاته وفق الميـــول والرغبات أو لوجود مسافة بين واقع الانسان وميوله ورغباته، مما يدفعه إلى الانزلاق في مسالك الانحراف ويطلقون على هذا الاتجاه بنظرية الدفاع الاجتماعي (طربية: 113).

وأجد لزاماً أن أصرح، أن بعض علماء الاجتماع أكدوا على أهمية الطبقة الوســـطى في تغيير وتطوير المجتمعات العربية والشرق أوسطية نذكر منهم:

موربرجـــر Morburger، صومائيـــل هنتجتـــون Samuel Hntington، بيـــل وليـــدن Bill Iliden، جـــاك بـــيرك Jack Burke، مانفريد هالـــبرن Manfred Halpern، وامتداداً لهذا المنحى شـــدد مفكرون وعلماء اجتماع عـــرب على أهمية الطبقة الوسطى في المجتمعات العربية منهم:

محمد عابد الجابري، خلدون حســـن النقيب، أســـامة الغزالي حرب، أنور عبد الملك، وعبد الباسط عبد المعطي، أحمد زايد،

علي الكنز، فعلي الكنز (1946 – 2020)، وضع يده بانبساط على موضوع نمـــو وتغير التركيب الاجتماعـــي في المجتمعات العربية وبين لنا لوحة معرفية مفيدة لطبيعة التغيرات الاجتماعية:

فهناك فاعلون اجتماعيون جدد بدأوا في البروز: الشـــباب الذين فرضت عليهم المؤسسات العلمية.. النســـاء.. الفئات الوسطى أصبحـــت أكثر كثافة وتنوعاً من خـــلال التنوع الذي عرفه قطاع الخدمـــات: صحفيون، أســـاتذة جامعات، موظفـــون، أطباء... اللذين أصبحوا يعدون الآن بالآف مما جعلهم يتدخلون بكل قوة في ميزان القوى عند عملية تحديد أشكال توزيع الدخل الوطني، وفي الفروق بين الفئات والتحالفات (الكنز، 1992: 313).

الأوضاع القاســـية أدت إلى ذوبان الطبقة الوسطى التي عرفها عـــالم الاجتماع المصري الدكتـــور / عبد الباســـط عبد المعطي (1943 – 2010م):

انها الأفراد الذين يشـــغلون المواقع الوسطى، ويقومون بعمل مركب – ذهني أو يـــدوي – في منظومات الإنتاج والخدمات الحكومية الخاصة، إضافة إلى من يحوزون أصلاً انتاجا – معرفي مادي – ويديرون أو يوظفون عـــدداً من العمال (عبد المعطي، 2005: 27).

لقد انهارت الطبقة الوســطى في المجتمع اليمني بفعل الحرب والدمار والخراب الاقتصــادي والاجتماعي والمعنوي وموجة الجوع والاملاق التي ضربت كيــان المجتمع وجعلت مجاميع غفرة من الناس يأكلون من المزابل.

وبانهيار الطبقة الوســطى (التــي كانت تحافظ عــلى التوازن الاجتماعــي)، انهــارت القيم الاجتماعيــة، وأصبحت حياتنا كالحة كلها خبص في خبــص وتحولت فئات وشرائح من هذه الطبقة إلى فقراء وشحاتين يُنظر إليهم بعين من الأزورار.

ثمة قسمات لأفراد وشرائح هذه الطبقة نشاهدها بالعين المجردة في مفردات الحياة اليومية ونلمسها بالمعايشة في الشارع والفضاء العام وعلى النحو التالي:

1- نقــرأ في وجوههــم الألم والتعابير الجريحة والشــحوب والهُــزال والإنهاك والهزات النفســية العظيمــة، فالفقر الموجــع جعل حياتهم مفعمة بالشــقاء والتقلب والمحن الحياتية بعد أن:

تجذرت في بُنيــة المجتمع القيم الماديــة وتراجعت القيم المعنوية، بما فيها من رموز وترفع، وتراجعت قيم الإنجاز العام ونمت قيــم الاتجار والتربح، وأصبــح التعليم لا

يقدر إلا إذا كانت للشـــهادة التي يمنحها رونقاً وشـــهرة (زايد، 2021).

2- فقـــدان القدرة الشرائية للمواد الغذائية والاســـتهلاكية والمتطلبات الحياتية الضرورية في شبكة الحياة اليومية.

3- لم تعد هذه الطبقة مميزة في ســـلوكها ومكانتها الاجتماعية وثقافتهـــا وملابســـها، فالفئات الوســـطى اليوم ترتدي ثيابـــاً رثة في مناخـــات الجور والجـــوع والرعب والفزع والعذابات المنكسرة:

فالملابس تعطينا معلومات عن مكانة الشخص الاجتماعية ودينه ومهنته وبلده وعائلته وجنسه وثقافته وسنه وحالته النفسية (أبو عقرب، 2993: 34).

4- يعيش أفراد هذه الطبقة في مساكن هرمة وبائسة وحزينة آيلة للســـقوط وجرداء خالية من نكهة الفرح وفي جوف هذه المســـاكن تتشـــظى العلاقات الأسرية والاجتماعية والإنسانية.

5- السطحية هي العنوان الشاخص في العلاقات الاجتماعية بين أفراد هذه الطبقـــة والفئات والشرائـــح الاجتماعية

الأخرى مع غياب صارخ للتضامن الاجتماعي بشـكله العضوي وتفاحـش الغش والفهلـوة وثقافة الكراهية والخنوع والفوضى.

6- الإحباط والجمود والتيبس وعم القدرة في تجديد شرايين الحياة، وكثرة كاثرة من هؤلاء كفوا عن القراءة والدرس والمطالعة والإنتاج.

7- اضطراب العادات والتقاليد وانحسار الوعي الحضاري.

8- الطبقة الوسـطى فقدت قيمتهـا واحترامها في المجتمع بسبب اكتسـاح القيم المادية، وهناك من لا يقدر الإبداع والمبدعين والمشـتغلين في المجال الذهنـي والوجداني، فالمجتمع يعطي الأولوية لأهل القوة والثراء والصقاعين.

9- تراخي الهمـم وضعـف العزائم واختـلال الضوابط والتوازنات في مسلك يتربص به الزلل.

10- عدم الاهتمام بالنظافة (لشحة الماء وانعدامه)، وصعوبة تنظيف المنازل وغسـل الملابـس والأواني، كل ذلك أثر عـلى المظهر العام لهـذه الشرائح ولـوث الوعي الجمالي وشـوه الشـموخ الحسي واللذة الفنية والعاطفية وثقافة الروح وثقافة العيش.

11- تولع رهط من الطبقة الوسـطى في تناول القات بشراهة وتعاطي المنشطات.

12- تـم كسر صمود وكبرياء هذه الطبقـة ومحاربتها في لقمة عيشـها وعدم تمكين فئـات مختلفة من هـذه الطبقة من ممارسة عملهم وتم خلعهم من أشـغالهم باتباع سياسة (خليك في البيـت)، وما تمثله هذه السياسـة من موت بطيء لأفراد هذه الطبقة وقهر نفسي وجسدي يؤدي إلى شلل اجتماعي وصحة متوعكة.

13- أفـراد وشرائح من هـذه الطبقة مصابون بداء السـكر والضغـط وأمراض القلب والسرطان وسـوء التغذية، والبعض منهم تسـاقطت اسنانهم من شـدة الضغوط النفسية الرهيبة وقسوة اليأس ورعشة الخوف.

14- تراجع الضمـير المهني عند شرائح هـذه الطبقة وعامة الناس، فظـروف الفاقة والتصدعات والبلاء الجسـيم قـادت البعض إلى سـوق الغبـاوة والجهل والرشـوة والفسـاد والابتذال والسـقوط في هوة الغش الفاضح والغبن الفاحش وخلع برقع الحياء، في كنف خواء فكري وانساني فاجع مع كم هائل من السفه والتسفل.

15- تغير نمط حياة أفراد هذه الطبقة وطريقة عيشها وسلوكها ووعيهـــا وتفاعلهـــا الاجتماعي، وإنـــدراس تأثيرها في المجتمـــع مع ارتفاع صوت الجهل والتشـــنج والتعصب والتكفـــير والخرافات والهويات الضيقـــة واحتقار المرأة والعمل الذهني ومعاداة أهل القلم والذكاء والكيس.

والشيء اللافـــت في إيقاع هـــذه الطبقـــة الاكتئاب الذي جعلهم في:

حزن مستمر وقلق دائم، الإحســـاس بفقدان الأمل والتشاؤم، فقدان قيمة الحياة، وعدم ممارســـة الأنشـــطة والهوايات، الأرق والنوم الكثير، فقدان الشهية، فقدان الحيوية والاجتهاد، والبطء، والتفكير في الموت أو الانتحار (رياض، 2005: 212).

وقـــد لا أكون مجانبـــاً للصواب إن قلت، أن الطبقة الوســـطى انهارت تماماً في المجتمع اليمني وتتكون هذه الطبقة من الشرائح الاجتماعية التالية:

المعلمون والمعلمات، ضباط الجيش والأمن، أصحاب الملكيات المتوســـطة التجارية والصناعية، أســـاتذة الجامعات، القضاة، المحامـــون، الصحفيـــون، الأطباء، المشـــتغلون في حقل الفن والأدب والثقافة والمسرح والموســـيقى، الكتاب، العاملون في

المجال الفكــري والذهني، الفنيون والمهندســون وأصحاب الشهادات العليا، المســؤولون في الجهاز الإداري، والمشتغلون في أجهــزة الاعلام والإذاعة والتلفزيــون والقنوات الفضائية ووسائل الاتصال الاجتماعي والجماهيري.

وفي هذا المسرب نــورد أمثلة حية لعينة من أفــراد هذه الطبقة اللذين انهارت حياتهم وتحولوا إلى فئات فقيرة:

- كان قاضي المحكمة يستلم راتب شهري ما قبل 2015م،بما يعادل 1500 دولار، أم اليوم فيستلم 200 دولار شهرياً .
- الأستاذ الجامعي كان يستلم 1400 دولار، أم اليوم فيستلم بما يعادل 200 دولار، وفي صنعاء ومحافظات أخرى التي يسيطر عليها الحوثيون لا يستلمون رواتب شهرية منذُ عام 2015م.
- 350 ألف معلم ومعلمة بدون رواتب منذُ 2015م.
- ضباط الجيش والأمن الذين احيلوا للتقاعد الاجباري 64 ألــف متظلم بدون رواتب (عدن تايــم، 172: 8 – 9)، ومنهم من يستلم الراتب الشهري الضئيل 60 ألف ريال بعد كل 9 أشــهر من المعاناة والمتابعــة المضنية التي هدفها إذلال هؤلاء وكسر شــوكتهم للاستســلام لوضع بائس وعدم ابداء أي اعتراض أو مقاومة للفساد والتعفن.

مثقفون وكتاب وصحفيون وفنانون ومسرحيون فرق موسيقية بدون رواتب بعد أن تم تجميد نشـاطهم بشـكل شبه كلي منذُ عام 1994م وترافق مع ذلك اغلاق مبنى الإذاعة والتلفزيون والمسرح والمكتبات والصحف الرسـمية، البعض من هؤلاء يتقاضى بما يعادل 65 دولاراً.

ويحسـن بنا أن نشـير أن كـماً هائلاً مـن الموظفـين والفنيين والإداريين تم إحالتهم للتقاعد الاجباري ويسـتلمون مبالغاً حقيرة جداً حيـث يظلون لعدة أيام في طوابير طويله منتظرين مجيء الراتب، ومرفوقة هذه الطوابير بالوسـاطات والاهانات والرشوات في وقت لا يفي الراتب بقيمة دبة زيت وكيس قمح سـعة 20 كيلو والبعض ينام أمام مبنى البريد لاحتلال مواقع متقدمة في الطابور عند فتح باب البريد.

ثمة نقطة جوهرية لابد من الإشـارة اليهـا أن هناك موت سريري للمثقفين والفرق المسرحية والفنانين والمبدعين وتحول البعض منهم إلى متسولين وقوى فائضة يعيشون على شيء من القلة والشظف.

قسـوة الحيـاة ومخالب الألآم تنهـش في الاجسـام الضعيفة والمريضة للمثقفين والمتقاعدين، فيتحملون الاوجاع والمشقات ويواصلون مشوار حياتهم بمنهج دفاعي حتى الرمق الأخير.

لقد كفوا عن الحُلم وإن حلموا فلا يحلمون بأكثر من الحصول على كسرة خبز وشربة ماء وكرامة تحافظ على ماء الوجه. لقد ضرب اليأس سويداء قلوبهم من شدة المكابدات ووعورة تضاريس الحياة القاهرة وقسوة مفرداتها والتكرار المستمر للمحن الجسيمة، ولا توجد لدى الشطر الأعظم منهم بارقة أمل في تحسين حياتهم المعيشية أو زيادة معاشاتهم التقاعدية الحقيرة التي لا تفي بأكلاف الحياة، وسط نيران الأسعار المشتعلة وفقدان الأمن المعيشي وخوف مستمر من غدٍ مظلم لا يحمل بشارة خير لهؤلاء المطحونين بالفقر والجوع والألآم الاجتماعية، وسط انكسارات متلاحقة في إيقاع الحياة اليومية، فهؤلاء يقفون على أرضية هشة ورمال متحركة.

هبطت الطبقة المتوسطة إلى الحضيض مع هبوط العملة المحلية بمقدار 20 مرة ووصل سعر الدولار الواحد إلى 1240 ريال يمني، وزادت أسعار المواد الغذائية 302 ٪، وزاد سعر رغيف الخبز 4 أضعاف في الآونة الأخيرة.

لقد انهارت الطبقة الوسطى إلى الأسفل والتحمت بالفقراء والمهمشين ولم تعد تتميز بدخلها الشهري المتوسط ولا بحجم استهلاكها ولا بثقافتها ولا بسيكولوجيتها ولا بملابسها

ومسـكنها ولا بمظهرهـا الخارجي ولا بلغتهـا ونمط حياتها وتفكيرهـا، انها تموت مـن الجوع وتلتحق بطابور المتسـولين وتمد يدها لأهل الخير والمنظـمات المحلية والإقليمية والدولية لمساعدتها وانتشالها من الوضع التراجيدي المؤلم.

الفاسدون وشذاذ الآفاق يعيشـون عصرهم الذهبي، ينهبون كل شيء، ويجرفـون كل شيء، لا شـغل لهم سـوى الجرف والنهب بشراهـة متناهية، يمتصون دم الشـعب وروحه ولا يحفلون بوجع وآلام الخلق، ويمارسـون نهجهم المشين بحماية من زُمر متنفذة ومتعجرفة ومتسـلطة شريكـة معهم بصورة مسـتترة في عملية النهـب وابتلاع الخـيرات وتدمير العمران وصناعة الصدمات والمشـاهد التراجيدية المؤلمة التي تخلو من صور الرحمة والانصاف (الشميري، 2020: 128).

ثالثاً: الشارع وانهيار المنظومة الأخلاقية:

نسـتطيع القول في غير تردد، أن الملاحظة البسـيطة والمتعمقة للشـارع تمدنا بمعلومات مترعة بالخصوبـة تدخل في صميم بحوثنا الخاصة بانهيـار المنظومة الأخلاقية وعلاقة الانسـان بالبيئـة الاجتماعية والتفاعـل الاجتماعـي والإدراك المكاني

والزماني والسمعي والبصري.وتفيدنا في دراسة السيميولوجيا الاجتماعيــة التي تعتبر: علم العلامــات الاجتماعي، وينصب الاهتمام فيها على دراسة الممارسات الدالة التي تحدث في سياقات اجتماعية معينة، فلا نقف عند حدود العلامة أو العلامات، بل نربطهــا بالأوضاع التي انتجتها. وان الحيــاة التي نعيش فيها، والكون الذي يحيط بنا، مشــبعاً بالعلامات التي نقرأها، يومياً، وتخترقنا، ولكن دون التوقف عندها، إننا نعيش وســط أنظمة مــن العلامات، نتواصل من خلالها، ونــمارس حياتنا، وننجز أفعالنا حتى أبسطها (بوعزيزي، 2010: 14، 15).

وإذا أخذنا الشارع من زاوية سيميولوجية وسوسيولوجية سنجد أن الشــارع يحمل في أعماقه نص سوســيولوجي غني بالمشاعر والمشــاهدات والعلامات والتفاعل الاجتماعــي والعلاقات الاجتماعية وتفســير الفعل الاجتماعي والإيماءات والإشارات والــدال والمدلول والمعــاني والرموز العقلية والســيكولوجية والصفات الجسدية والنفســية والعواطف والميول والقدرات والدوافع الشــعورية واللاشــعورية والعنف المادي والمعنوي والمعاني الخفية للغة الجســد والمهارات الاجتماعية والاتصالية والسلوك والمعايير الأخلاقية.

هناك علامات وسلوكيات وظواهر غير متوائمة مع الذوق العام نرصدها على النحو التالي:

- نلاحظ زحام وكتل بشرية تمشي بلا هدى وغير مكثرة بالآخرين، غير مكثرة بالأطفال وكبار السن والمعوقين الذين يمكن دوسهم بالأقدام.
- تراكم القمامات والزبالات في الشوارع والأزقة والممرات التي أصبحت مكباً للقمامات.
- مجاميع غفيرة من الشحاذين والمهاجرين يطوفون في الشوارع ويتحرشون بالمارة والفتيات والنساء.
- زحف الباعة واحتلالهم للطرقات وسيطرتهم على ممرات المشاة.
- امتداد البناء العشوائي حتى وصل إلى الأرصفة في الشوارع والمقابر وبوابات العمارات والمنازل وفوق اسلاك الكهرباء ومحابس الصرف الصحي وانابيب المياه وفراغات العمارات الخلفية الخاصة بالصرف الصحي، وتم نصب الاكشاك ومحلات بيع الدجاج والأسماك واللحم والشاي وسط خطوط المرور الرئيسية في الشوارع.

- الشـــارع يمدنا بدلالة كبيرة عن تفشي الفوضى والبلطجة والفساد المادي والمعنوي.

- مزاحمة الباعة العشوائيين للباعة الثابتين أصحاب المحلات التجاريـــة في مواقعهـــم الرســـمية، حيث يحتلـــون مواقعاً أمام المحلات التجارية وينصبون الأكشـــاك و الصندقات ويقطعون أرزاق أصحاب المحلات التجارية الرسمية حيث يبيعون البضائع بأســـعار رخيصة فضلاً عن انهم لا يدفعون الضرائب للبلدية ولا يسددون فواتير الماء والكهرباء...

- الشـــارع رمز ســـياسي واجتماعي وثقـــافي وأخلاقي لحياة الفوضى والفساد والتفلت والمزاحمة والمنافسة غير الشريفة والبلطجة الخفية والمســـتترة ودفع الأتـــاوات والعصابات التي تتحكم بجغرافية الشارع وأوضاع البائعين ومواقعهم وسط زحام المنافســـة والاستيلاء على حقوق المشاة والمارة في الشوارع، فمنهم من أخذ مرات المشاة وآخرون استولوا على مواقف الســـيارات، وفريق ثالت أنشأ محلات جديدة في ممرات ضيقة لا تتسع لمرور الأفراد والمشاة والمتسوقين، وفريق رابع بســـط على المتنفســـات وملاعـــب الأطفال والشـــواطئ والحدائق والتهم الفراغات الصغيرة بجشع وصلافة لا حدود لها.

- ثمة سلوكيات وتصرفات هتكت الأنسجة الحضرية للشارع والمدينة وقواعد الانتظام العام وقواعد المرور، وتم هتك التاريخ والجغرافيا والهوية وعلاقة التساكن والتضامن الاجتماعي.
- تتحكم بحركة الشارع عصابات وبلاطجة فرضوا ظلمتهم وسطوتهم على الشارع، وفرضوا الضرائب والاتاوات على الباعة خارج سلطان النظام والقانون.
- كثرة الحرابة والتقطعات واقفال الشوارع أمام المارة وحركة الآليات دون أسباب مقنعة.
- تجاسر البعض بوضع المطبات والحجار والحواجز في الشوارع بأمزجة معتلة وبسلوك غير محتشم.
- العراكات والصدامات المسلحة في الشوارع ما بين أفراد وعصابات ومليشيات وجماعات مسلحة.
- شبان منفلتون يقومون بتكسير أعمدة الكهرباء وانابيب الماء واللوحات الاعلانية وتقطيع اسلاك التلفونات والخدمات العامة.
- تدمير الطرقات بصورة عمدية وتمزيق الرسومات واللوحات الفنية والاعلانات والكتابة غير المحتشمة على

جدران المنازل وفي الطرقات وعلى الأسوار العامة والخاصة بذوق بليد وحركات غير مستساغة.

- كثرة العساكر والجماعات المسلحة والحواجز الأمنية ونقاط التفتيش.

- طفح المجاري بصورة مستمرة في الشوارع والجادات والسواق والأزقة والمماشي والأرصفة وتلويث الهواء بروائح نتنة تشج الرأس شجاً.

- قيام البعض بالتبول والتبرز والاغتسال في الشوارع والحدائق العامة والمتنزهات والسواحل والشواطئ، ولا يجدون حرجاً في هذه التصرفات المشينة. لقد لفت نظري أحد الشبان الذي قام بالتبول أمام بوابة كلية الآداب في خورمكسر في أوج قوة الحركة في الشارع وأمام أنظار عامة الناس دون خجل وكأنه في حمام بيته. ويقوم البعض من المتسولين والمهمشين بقضاء الحاجة في الأسواق والحدائق العامة وفي الشواطئ والساحات الفسيحة مثل ساحة العروض في خورمكسر وغيرها من الأماكن العامة المشحونة بالحركة والحيوية ويعلمون الأطفال كيفية التبول والتبرز في محطات السيارات والأماكن المزدحمة مثل:

محطة الهاشمي في الشـيخ عثمان، جولة الغزل والنسيج في المنصورة، جولة القاهرة، شـارع المتحف الحربي، وشارع الملكة أروى وساحة البنوك في كريتر...

- انتشـار ظاهرة اطلاق الرصاص وحمل السلاح واضحت هذه الظاهـرة مقلقـة أدت على كوارث عديـدة، حيث يعتبرها بعض المعطوبين اجتماعياً وعقلياً أنها نمط من أنماط الرجولة والشجاعة.

- قلاقـل أمنية وانفجارات وسـيارات مفخخة واغتيالات واشتباكات في قلب الليل وخبيص النهار.

- شـحن الشـارع بثقافة التعصب والهويـات القاتلة على حسـاب المواطنة المتسـاوية والأخلاق الحميـدة والقيم الإنسانية الخالدة.

- صار الشـارع رمـزاً للنزعـة الذئبية، والغـلاء الفاحش والمطامر والمقاذر وفقدان المعايير الأخلاقية.

- تغير نمط حياة الشارع والرصيف وكثرة المتعاطين للقات في الشارع والرصيف والأماكن العامة ومضايقة الساكنين والمارة وتوطنت عادة السهر في الشوارع، مع تفشي ظاهرة

تعاطي القات والشـمة والحشـيش والمخـدرات وبيعها ودخلت إلى السوق والشارع نوع جديد وخطير من أنواع المخدرات يسمى(الشـابو)، الذي يجعل المتعاطي عرضة لارتكاب الجرائم بسهولة كبيرة دون أن يرمش له جفن:

انظر نظرة واحـدة إلى الواقع المحيط بك، وخذ نفسـاً واحداً وانت واقف في الشـارع الذي تقف فيه، سـوف تلاحظ دون مشـقة، أن التلوث البصري والسـمعي واللغوي والأخلاقي والذوقي تطبق عليك بقبحه وسـمومه الوبائية الخانقة من كل جانـب، حينها لن تتردد عن القول أو حتى عن الصراخ: ليس هناك أي شيء على ما يرام (مكاوي، 2005: 266).

تشير الدكتورة / سهير صفوت أن قيم الاستهلاك شوهت بُنية القيم مما أدى إلى طغيان القيم المادية وقيم الاستهلاك والكسب دون مجهود والثراء السريع كل ذلك أدى إلى تأسـيس حالة من الفسـاد والتدهور الخُلقي: في ظل البطالة زاد التسـكع، وزاد التحرش وأصبح الشارع رمزاً للصراع... الكل يريد الاستيلاء عليه، الكل يريد مقراً للانحراف، الاغتصاب، السرقة، ادمان المخدرات، وأطفال الشوارع والتي هي تعبر عن قمة الانفلات والانحراف الأخلاقي(https: / /misralbalad.com)

لا تنهـــار المنظومة الأخلاقية إلى في البيئة المريضة التي تشـــكل مصدراً للجنـــون والفقر والظلم والإرهـــاب والعته، وهدف عتاولة الفســـاد زيادة جرعة الصدمات اليومية القاتلة وتدمير الانتظام العام وتدمير الإنســـان وجعاه مخلوقـــاً غريباً معزولاً عن محيطه الاجتماعي لا حول ولا قوة له، يأكل ويشرب وينام ويتعايش مع الرذيلة والفساد والفقر المدقع.

والجدير بالملاحظة أنه برزت إلى السطح في الفترة الأخيرة ثقافة الفقر التي أشـــار اليها عالم الأنثروبولوجيا الأمريكي اوسكار لويس Oscar Lewis، حيث يقول:

إن ثقافـــة الفقـــر هي تكيـــف ورد فعل الفقراء عـــلى مكانتهم الهامشـــية وانها تمثل جهداً للكفاح والتغلب على المشكلات مع شعور فقدان الأمل واليأس الذي يتطور مع إدراك النجاح بقيم وأهداف المجتمع الأكبر (لويس، 2004: 169).

في غميـــس النوازل والكوارث والصدمـــات المرعبة، يدفعون الإنسان دفعاً صوب الموت والتشرد والعنف والفوضى والعزلة والتطاحن المجتمعي ويشـــعلون حرائق الكره الاجتماعي لكي يتســـنى لهم نهب الخيرات وســـتر المعايب، بينـــما يعيش العامة في حالة هرج وفـــوضى وجوع وعبث واحـــتراب ومصارعة

التناقضات والبحث عن الجينات والهويات المتصارعة بطريقة غـير متبصرة لتحطيـم شـكيمة المعايير الأخلاقيـة والدينية والتسـامح وثقافة العيش المشرك وثقافـة التعايش والتعاون والتنميـة والتضامن والتدامج الإنسـاني في ظـل تقهقر ثقافة العقل والحرية والمحبة والسلام:

الناس الذين يعيشون في مجتمع حيث الفقر منتشر في كل مكان، يتقاسـمون ثقافة متميزة عن اتجاه الشـعور السائد بحيث أن قيمهم وسـلوكهم، ووجهة نظرهم في المجتمع تختلف عن غير الفقـراء لا تتميز هذه الثقافة بالحرمـان ولكن أيضاً بالجريمة، وادمان الكحول وفقدان الأمل في القدرة على التحرك. تساعد هذه السـمات الفقراء على البقاء على المـدى القصير، ولكنها تحبطهم وتجمدهم عـلى المدى الطويل، وبعبـارة أخرى، انها ليست الظروف التي تحدد سـلوك الفقراء إلى حد كبير، بما أنه سـلوك وقيم الفقراء الذي حكم عليهم القدر بالفقر (لويس: 167 - 168).

سـقوط المعايير والخلاق تجسدت في سلوكيات أفراد المجتمع، الذين لم تردعهم هيئات الضبط الرسـمية، ولا أدوات الضبط الاجتماعية الطوعية المتجسدة في:

الدين، الثقافــة، الأسرة، المدرســة، الرأي العــام، الأعراف والعادات والتقاليــد الاجتماعية، أدوات ووســائل الاتصال الجماهيري ومؤسسات الثقافة والتربية والتعليم.

تراجعــت القيم الاجتماعية في الفضــاء العمومي وفي صخب الحياة وضجيجها، حيث تقهقرت:

قيــم التضامن، قيــم التضحيــة، قيم احــترام الكبــار، قيم الاستقلال، قيم العزة والشموخ، قيم الرحمة، قيم العدالة، قيم نصرة المظلوم، قيم البسالة والشهامة، قيم الصدق والوفاء، قيم التقوى والصبر، قيم التســامح، قيم حُسن المعاشرة،قيم العفة والزهد، قيم العيش المشــترك، قيم العمل، قيم العلم والمعرفة، قيم حــب الوطن، قيــم النظافة والشــفافية، قيــم التواصل الاجتماعي، قيم الحوار، قيم المحبة ومكارم الأخلاق.

وفي لغة الحياة والتفاعل الفيزيقي والاجتماعي تم تقطيع أوصال العلاقات الإنســانية، وبرزت إلى السطح قيم جديدة متناشزة مع النسق القيمي الشائع ولعل أبرزها:

قيــم الغش والكذب والفهلوة، قيــم العنصرية، قيم التوحش والانعزال، قيم التعصب، قيم الكسل، قيم الخساسة والنذالة، قيم الخيانة، قيم النميمة، قيم الفتن، قيم العنف والإرهاب، قيم

المحسوبية، قيم الرشوة والفساد، قيم العشوائية والفوضى، قيم الارتزاق، قيم الاستهلاك، قيم التسلط والهيمنة، قيم النهب والبلطجة...

فهذا التقهقر في القيم الاجتماعية هو مرآه عاكسة لاختلال التوازن وزيف العلاقات البشرية وسطحيتها، وانهيار الأمن الغذائي والمعيشي والفيزيائي، وتدهور حياة الناس الاقتصادية والاجتماعية والثقافية والروحية المتواكب مع تخلي المؤسسات عن أدوارها في الضبط والحزم والجزم وتسيد الفساد والفوضى وانهيار الحس المدني واللامعيارية:

اللامعيارية هو ذلك الجانب من تفسخ التضامن الاجتماعي الذي ينشأ عن ضعف أو غياب القواعد المشتركة وضعف التحول الاجتماعي لهذه القواعد (سكوت، 2013: 326).

وعلى سياق متصل - يرى علماء النفس أن وظيفة القيم تظهر في سلوك الفرد الظاهري، بل هي في الادراك الباطني وكل اتجاه للعمل أو السلوك يمكن ملاحظته أو رصده، وبالتالي فإن القيم مكون أساسي من مكونات الشخصية.. والاختلاف بين الأفراد ليس اختلافاً على محتوى القيم بل اختلاف في هرمية التركيب. ومفهوم القيم الشخصية هي منظومة القيم التي يتبناها

فرد با ختياره ويحرص على تمثيلها في ســـلوكياته سوء تضمنت ما اتفق مع الأنساق القيمية الأخرى كاقيم الجماعة التي ينتمي إليها، فدور القيم ووظيفتها هي تحديد مراجع السلوك

(.(https: / /www.m.alhewar.org /s

الخلاصة:

انهيـــار المنظومة الأخلاقية لا يأتي من فـــراغ، فهذا الانهيار على عروة وثقى بالفقر وضعف الضبط الاجتماعي وفســـاد وتعفن المجتمع الـــذي حطمته الصدمات والأزمـــات والاحترابات ولعبة المناورات والخدع.

فعسر الحياة المعيشـــية جعل الناس يأكلـــون من المزابل وقذف بفئات اجتماعيـــة إلى هاوية الفاقة والجوع والتســـول ومن ثم انتقال جماعات اجتماعية عريضة في المجتمع من الحالة الطبيعية الاجتماعية إلى حالة اللاوعي والفوضى فتسيدت الغرائز وغاب العقل وانهار البنـــاء الاقتصادي والاجتماعـــي وذابت الطبقة الوسطى التي كانت تشـــكل مهجعاً دفاعياً للقيم الاجتماعية، وعنواناً للرصانة والعزة والبسالة والشموخ.

المراجع:

- ابن خلدون . مقدمة ابـــن خلدون.القاهرة: دار التوفيقية للتراث.
- أبو عقرب، إبراهيم (1993). الاتصال الإنساني ودوره في التفاعل الاجتماعي.عمان: دار مجدلاوي.
- البطش، محمد (1990). البناء القيمي لدى طلبة الجامعة الأردنية. مجلة دراسات. المجلد 17. العدد 39.
- الخزاعلة، عبد الله (2008). الصراع بين القيم الاجتماعية والقيم التربوية في الإدارة التربوية. عمان: دار الحامد للنشر والتوزيع.
- الكنز، علي (1992). (من الاعجاب بالدولة إلى اكتشاف الممارسة الاجتماعية)، ورقة مقدمة إلى ندوة: المجتمع المدني في الوطن العربي ودوره في تحقيـــق الديمقراطية. بيروت: مركز دراسات الوحدة العربية.
- العلـــوان، هدى،ومحمد (2015). سوســـيولوجيا الحياة اليومية للفضـــاء الحضري. مجلة اتحـــاد الجامعات العربية للدراسات والبحوث الهندسية. المجلد 22 العدد 2.

- المغـــربي، كامل (1994). السـلوك التنظيمي وأسس سلوك الفرد والجماعة في التنظيم، عمان: دار الفكر للنشر والتوزيع.
- الجابري . العقل الأخلاقي العربي – دراسة تحليلية نقدية لنظم القيم في الثقافة العربية. بيروت: مركز دراسات الوحدة العربية.
- الحراك، (2013). رؤية الحراك الجنوبي السلمي – الجذور – المحتوى – الحلول والضمانات. صنعاء: دار كنعان للطباعة والنشر.
- الشميري . الثورة والهجرة والهوية في مجتمع متشظ. ابوظبي: ثقافة للنشر والتوزيع.
- الشميري .عدن الحرية الثقافية والتقهقر المدني. أبوظبي: ثقافة للنشر والتوزيع.
- بركات. المجتمع العربي في القرن العشرين – بحث في تغير الأحوال والعلاقات. بيروت: مركز دراسات الوحدة العربية.
- بوتومور، توماس (1983). تمهيد في علم الاجتماع. القاهرة: دار المعارف.

- بوعزيزي، محسن (2010).السيميولوجيا الاجتماعية. بيروت: مركز دراسات الوحدة العربية.
- حسن، عبد الباسط (1982). علم الاجتماع الصناعي. القاهرة: مكتبة غريب.
- خروف، حميد(1998). القيم في العملية التربوية، رؤية سوسيولوجية. مجلة العلوم الإنسانية (الجزائر).
- روشية، غي (1983). مدخل إلى علم الاجتماع. بيروت: المؤسسة العربية للدراسات والنشر.
- رياض، سعد (2005). الشخصية وأنواعها – امراضها وفن التعامل معها. القاهرة: مؤسسة إقراء.
- زايد، احمد (2021). (الطبقة المتوسطة مشكلة التعريف). الأهرام. 10/ يوليو/ 2021.
- سكوت، جون (2013). علم الاجتماع المفاهيم الأساسية. ترجمة: محمد عثمان. بيروت: الشبكة العربية للأبحاث والنشر.
- صفوت، سهير (2019). (الشارع المصري وانفلات الأخلاق). صحيفة مصر البلد. 17/ 3/ 2019.

- طربية، مأمون (2011). علم الاجتماع في الحياة اليومية قراءة سوسيولوجية معاصرة لوقائع معاشة. بيروت: دار المعرفة.
- عدن تايم، (2019). العدد 172.
- لويـــس، أوســـكار (2004). (دراســـة لثقافـــة الفقر)، في كتاب: ج – تيمونز روبيرتـــس. من الحداثة إلى العولمة. الجزء الأول. الكويت: عالم المعرفة.
- مكاوي، عبـــد الغفـــار (2005). (ليـــس كل شيء على ما يرام). الهلال (القاهرة).
- ar.wfp.countries 6. 4. 2022
- https://www.m.alhewar.org/s. 29. 10. 2015
- https:misralbalad.com/121050
- https:www.facebook.com Ahmed zyed 7564

الخاتمة

في هــذا الكتاب قضايــا ملحاحــة ذات بعد نظــري وعمق سوســيولوجي امبريقــي، ولقد حاولنــا أن نبتكــر مفاهيماً سوســيولوجية جديدة على ضوء حركة الواقع وسوسيولوجيا الحياة اليوميــة والهزات العظيمة التي حلــت بالمجتمع وهي: المجتمع الكسيح، والنخب المتوحشة.

فالنخب المتوحشــة تســير بلا بصيرة همها النهب والتســيد، وتحولت وظائف هــذه النخب من وظائف تنموية إلى وظائف تدميرية حيث تقوم هذه النخب ب:

مواصلة الحرب، تعطيل الفضاء العمومي، تســميم حياة الناس، القمع والقتل وكتــم الأنفاس، انتهاب الثــروات، تعميم الفقر والفساد، تجهيل الرأي العام، تحطيم شكيمة التماسك الاجتماعي.

وبما أن المجتمع منهار يعيش في كنف التســول والمســاعدات والارتــزاق ضعفــت وانعدمــت (إلى حــد مــا) الضوابط الاجتماعية الرســمية وغير الرسمية، وشــاعت النغمة النفعية وزيف العلاقات البشرية وســطحيتها، فليس من المســتغرب

في هذه الأوضاع انهيار المعايير الاجتماعية، فالمعايير الاجتماعية تعكس حركة الواقع.

الصدمات العنيفة والمؤلمة انتجت معايير أخلاقية فاسدة وعيوب شنيعة وقبيحة في الفضاء العمومي، لقد حدث تغير كابوسي في حياة المجتمع عنوانه: الحرب، الخراب، الجوع، الفساد، الغوغائية، البطالة وانعدام المعايش، الفوضى، فهذا التحول الرهيب في حياة الناس عمق شرخ النسيج المجتمعي وشحنات المرارة واليأس وأدخل الخلق في ظلمات الليل المدلهمات.

لقد توصلنا إلى الاستنتاجات التالية:

1- بسبب الحرب والأوضاع المتعاجمة والصدمات العنيفة تحول المجتمع إلى مجتمع كسيح غير واع وغير منتج ينتظر الهبات والمساعدات والعطايا ولا يفكر ولا يسعى إلى تغيير نمط حياته إلى الأحسن.

2- قادت المجتمع في هذه الظروف البئيسة نخب متوحشة همها الارتزاق والثراء غير المشروع بعقليات خفيفة وبلا وعي.

3- انهيار مؤسسات الدولة، كان نقطة محورية في الانهيار العمومي وعلى رأسها الخدمات ومقومات المعيشة التي تشكل مدماكاً رئيسياً للوجود البشري.

4- لقد استخدمت نظرية الصدمة لتدمير المجتمع وقواه الحية بصورة واعية وممنهجة مما أدى إلى تكسير مداميك المجتمع وإلى العجز والاستسلام لوضع غير طبيعي.

5- الفاقة والفساد والسقوط المدوي للمؤسسات والفراغات المرعبة أدت إلى انهيـــار البناء الاجتماعـــي وذوبان الطبقة الوســـطى وتحولها إلى مربع الفقر والتهميش، وتواكب مع هذا الوضع التراجيدي سقوط رهيب للمعايير الأخلاقية التي نجد تعبيراتها ناصعة في ســـلوكيات البشر في الشارع والفضاء العام.

لا بد من تغيير حيـــاة الناس، لابد من تغيير الوضع الاجتماعي الـــذي ولدته هـــذه المعانـــاة وأفـــضى إلى انتكاســـة في الحياة والقيم الاجتماعية:

إننا لا نستطيع اصلاح أخلاق الناس عن طريق المواعظ والنصائح على منوال ما كان القدماء يفعلونه قديماً. الأخلاق وليدة الظروف الاجتماعية التي يحيط بها. وما لم تتغير تلك الظروف فإننا لا نأمل أن تتغير الأخلاق (الوردي، 2007: 55).

ومن اجل أن يستعيد المجتمع عافيته لا بد من:

1- إيقاف الحرب.

2- بناء دولة الحق والقانون والمواطنة المتساوية.

3- تحسين الخدمات ورفع المستوى المعيشي للشعب.

4- ضرب أوكار الفساد والفوضى وتقوية مداميك الانتظام العام.

5- الاهتمام بالرأسمال البشري ووضع الرجل المناسب في المكان المناسب.

6- إعادة بناء المنشآت الاقتصادية ومؤسسات التعليم والاعلام والثقافة ومؤسسات التنشئة الاجتماعية.

7- القضاء على الأزمات المفتعلة في سوسيولوجيا الحياة اليومية وعلى رأسها حرب الخدمات.

8- تقوية سلطان القانون وبيوت العدل ومؤسسات القضاء والضبط الاجتماعي.

9- ترقية الوعي والثقافة والتعليم والتربية الوطنية وتحسين أداء مؤسسات وأدوات الاتصال الاجتماعي وإعادة الهيبة

والوقار للأسرة والمدرسة والمعلم والمثقف والصحفي والرأسمال البشري.

10- تفعيل أدوار الأحزاب ومنظمات المجتمع المدني.

11- محاربة التعصب والجغرافية الضيقة والمفردات الطائشة التي تلهب المشاعر وتقزم المواطنة الواحدة وتتطاول على هامة الوطن وتحرض الناس على الكره والقطيعة.

12- نشر ثقافة التسامح والمحبة والحرية والديمقراطية والسلام والوئام المدني.

13- التوجه صوب تنمية شاملة ومخططة مرفوقة بالعلم ونور العقل وبإرادة سياسية صادقة للتحديث والتنمية المجتمعية.

ببلوغرافيا

أولاً: الكتب:

- ابن خلدون، عبد الرحمن بن محمد (2010). مقدمة ابن خلدون. القاهرة: دار التوفيقية.
- أبو أصبع، بلقيس (1999). النخبة السياسية الحاكمة في اليمن 1978 1990-. القاهرة: مكتبة مدبولي.
- أبو عقرب، إبراهيم (1993). الاتصال الإنساني ودوره في التفاعل الاجتماعي. عمان: دار مجدلاوي.
- أرسلان، الطيب (2003). يوميات مبرشت. صنعاء: مركز عبادي للدراسات والنشر.
- الجابري، محمد عابد (2006). العقل الأخلاقي العربي – دراسة تحليلية نقدية لنظم القيم في الثقافة العربية. بيروت: مركز دراسات الوحدة العربية.
- الجابري، (1982). فكر ابن خلدون العصبية والدولة معالم نظرية خلدونية في التاريخ الإسلامي. بيروت: دار الطليعة.

- الجابـري، (1990). العقل السـياسي العـربي محدداته وتجلياته. بيروت: مركز دراسات الوحدة العربية.
- الجمـل، مايسـة (1993). النخبة السياسـية في مصر. بيروت: مركز دراسات الوحدة العربية.
- الحراك، (2013). رؤية الحراك الجنوبي السـلمي الجذور - المحتـوى - الحلول الضمانـات. صنعـاء: دار كنعان للطباعة والنشر.
- الخزاعلة، عبد الله (2008). الصراع بين القيم الاجتماعية والقيـم التربويـة في الإدارة التربوية. عـمان: دار الحامد للنشر والتوزيع.
- الأسكوا، (1996). تغير القيم في العائلة العربية. بيروت: اللجنة الاقتصادية والاجتماعية لغربي آسيا.
- السـقاف، أحمد (2007). رواية قهوة أمريكية. بيروت - الدار البيضاء: المركز الثقافي العربي.
- الشـميري، سـمير (2002). القـات وشـيوع تعاطيه في المجتمـع اليمني. دمشـق: المركز العربي للدراسـات الاستراتيجية.

- الشميري، (2018). عدن الحرية الثقافية والتقهقر المدني. أبوظبي: ثقافة للنشر والتوزيع.
- الشـــميري، (2020). الثورة والهجـــرة والهوية في مجتمع متشظ. أبوظبي: ثقافة للنشر والتوزيع.
- الشـــفيع، ريماز (2017). تأثير الســكن العشـــوائي على العمارة والتخطيط - رسالة ماجســـتير - جامعة السودان للعلوم والتكنولوجيا - كلية الهندسة.
- العقيل، عقيل الحســين (2004). خُمــاسي تحليل القيم: قـــراءة جديدة في تحليــل العلاقة الاجتماعية والإنســانية. بيروت: دار الكتاب.
- العطاس، حسن (1982). (القات تركيبه الطبيعي وآثاره الصحية والعصبية) في كتـــاب: القات في حياة اليمنيين - رصد وتحليل مركز الدراســـات والبحوث اليمنية صنعاء. بيروت: مكتبة الجماهير.
- الكنز، علي (1992). (من الاعجاب بالدولة إلى اكتشاف الممارسة الاجتماعية)، ورقة مقدمة إلى ندوة المجتمع المدني في الوطن العربي ودوره في تحقيـــق الديمقراطية. بيروت: مركز دراسات الوحدة العربية.

- الفيفـــي، عبــد الله (2006). نقــد القيــم. بــيروت: الإنشاء العربي.
- الكواكبـــي، عبد الرحمـــن (2003). طبائع الاســتبداد. بيروت: دار النفائس للطباعة والنشر والتوزيع.
- الماغــوط، محمــد (2004). ســأخون وطني. دمشــق: دار المدى للثقافة والنشر.
- المغربي، كامل (1994). السلوك التنظيمي وأسس سلوك الفرد والجماعة في التنظيم. عمان: دار الفكر للنشر والتوزيع.
- النقيب، خلدون حسن (1989). المجتمع والدولة في الخليج والجزيرة العربية. بيروت: مركز دراسات الوحدة العربية.
- الوردي، علي حسين (1995). وعاظ السلاطين. بيروت: دار كوفان وتوزيع دار الكنوز.
- الوردي، (2001). شــخصية الفــرد العراقي بحث في نفسية الشــعب العراقي على ضوء علم الاجتماع الحديث. لندن: منشورات دار ليلى.
- الوردي،(2007). الأخلاق الضائع من الموارد الخُلقية. بيروت: شركة الوراق للنشر المحدودة.

- بـــركات، حليـــم (2000). المجتمـــع العـــربي في القرن العشرين - بحث في تغير الأحـــوال والعلاقات. بيروت: مركز دراسات الوحدة العربية.
- بوتومـــور، تومـــاس (1983). تمهيد في علـــم الاجتماع. القاهرة: دار المعارف.
- بو عزيزي، محســـن (2010). السيميولوجيا الاجتماعية. بيروت: مركز دراسات الوحدة العربية.
- جـــرى، كيـــف (2011). المشـــاكل النفســـية. القاهرة: دار الخلود للتراث.
- جميل، حسين (1986). حقوق الإنسان في الوطن العربي. بيروت: مركز دراسات الوحدة العربية.
- حجازي، مصطفى (2006). الإنســـان المهدور دراســـة تحليلية. الدار البيضاء - بيروت: المركز الثقافي العربي.
- حسن، عبد الباســـط (1982). علم الاجتماع الصناعي. القاهرة: مكتبة غريب.
- دونـــو، آلان (2020). نظـــام التفاهة. ترجمة: مشـــاعل عبد العزيز الهاجري. بيروت: دار سؤال.

- راسـل، برترند (1997). المجتمع البـشري في الخلاق والسياسـة.ترجمة: عبد الكريـم أحمد. القاهـرة: مكتبة الأنجلو المصرية.
- روشيه، غي (1983). مدخل إلى علم الاجتماع. بيروت: المؤسسة العربية للدراسات والنشر.
- رياض، سـعد (2005). الشخصية وأنواعها – أمراضها وفن التعامل معها. القاهرة: مؤسسة اقرأ .
- زايد، أحمـد(1992). خطاب الحيـاة اليومية في المجتمع المصري. دبي: دار القراءة للجميع.
- زايـد، (2005). في: النخـب الاجتماعيـة حالة الجزائر ومصر. القاهرة: مكتبة مدبولي.
- زهران، حامد (2003). علم النفس الاجتماعي. القاهرة: عالم الكتب.
- سيبوزا، باروخ (1982). رسالة في اللاهوت والسياسة. ترجمة: حسن حنفي. بيروت: دار الطليعة.
- سـكوت، جـون (2013). علـم الاجتـماع المفاهيـم الأساسية. بيروت: الشبكة العربية للأبحاث والنشر.

- طربية، مأمون (2011). علم الاجتماع في الحياة اليومية قراءة سوسيولوجية معاصرة لوقائع معاشه. بيروت: دار المعرفة.
- عابدين، عليه (2008). دراسات في سيكولوجية الملابس. عمان: دار المسيرة للنشر والتوزيع.
- غدنز، أنتوني (2005). علم الاجتماع. ترجمة: فايز الصياغ. بيروت: المنظمة العربية للترجمة.
- فيبر، ماكس (د.ت). الأخلاق البروتستانتية. ترجمة: محمد على مقلد. بيروت: مركز الإنماء القومي.
- قباني، نزار (2011). حوارات العربي. الكويت: كتاب العربي.
- كلاين، نعومي (2011). عقيدة الصدمة - صعود رأسمالية الكوارث. بيروت: شركة المطبوعات للتوزيع والنشر.
- لويس، أوسكار (2004). (دراسة لثقافة الفقر). في كتاب: ج - تيمونز روبيرتس. من الحداثة إلى العولمة. الجزء الأول. الكويت: عالم المعرفة.

- مســتغانمي، أحلام (1998). ذاكرة الجسد. بيروت: دار الآداب.
- ميســنجر، جوزيــف (2006). المعــاني الخفية لحركات الجسد. بيروت: شركة الفراشة للطباعة والنشر.

ثانياً: الدوريات:

أ- المجلات:

- العربي (2007). العدد 73.
- مجلة كليات التربية (2003). العدد 5.
- دبي الثقافية (2007، 2008). العدد 26، 38، 42.
- مجلة دراسات (1990). المجلد 17، العدد 39.
- مجلة العلوم الإنسانية (2012). العدد 8.
- مجلة الشــامل للعلــوم الاجتماعيــة (2018). المجلد 1، العدد 1.
- مجلة اتحاد الجامعات العربية (2015). المجلد 22، العدد 2.
- نزوى (2005). العدد 43.

ب – الصحف:

- الأيام. العدد 6072، 4100، 7232، 4374، 7232.
- الأمناء. العدد 1092.
- عدن الغد. العدد 164، 1324 .
- عدن تايم. العدد 106.

ثالثاً: الندوات:

- القيم التربوية في عالم متغير (1999). أربد – الأردن.
- القيم العمانية ودور المواطن في التنمية (2011). عمان: جامعة السلطان قابوس .
- سؤال الأخلاق والقيم في عالمنا المعاصر (2011). الدار البيضاء – المغرب.

https:www.maghress.com

- القيم الأخلاقية (2017). سوهاج – مصر.

رابعاً: شبكة الإنترنت:

- alayyam.info.news.24.3.2022
- ar.wfp countries 6.4.2022
- alraye.news/ tag 23.10.2021
- https://mobile.twitter.com
- https://soror.com
- https://mmaqara2tt.com/indx.php/books...Les
- https://uobabylon.edu.iq
- https://m.narefa.org
- https://www.4may.net
- https://www.ammonnews.net/index.php?page=article and id=331287
- https://maktabe.amma.com
- https://misralbalad.com/121050
- https://ila.io/8ysfs
- https://www.m.ahewar.org/s.esp?aid=490405

- https:www.facebook.com ahmedZyed 7564
- https:small wars jurnal/author/max-g-manwring?fbcli=1war 1+NDE172 ak W+KILI N To 3WLIZ WK15 nsLeo
- https:www.maghress.com
- https:news.un.org
- m.youom7.com 30.6.2020

خامساً: المراجع الأجنبية:

- Elites and society.2ed. Bottomore,Tom(1993)
- Certeau، Michel (1989).The practice of Every day life. London: University of California press.
- Derek، Gregory and others (2009). The Dictionary Of Human Geography.London: Black Well.
- Frisby، David and Derek Sayer (1986).Society. London: Tavisto ck.

- Gaddens، Anthony (1989). Sociology، A Brief but A Critical Introduction ,2ed Edition macmillan. L T D- London.
- Lefebvre، Henri (2002).Critiq ue of every day life.London: Vol 11verso.
- Scott، John (1990). The sociology of Elites Cheltenham:fd ward Elgar Publishing. 3 vols.
- Urry ,John (2000). Society Beyond Societies. London: Routledge.
- Urry، John (2003). Global Complexity. Cambridge. policy press.